مجلة بحوث المدينة المنورة ودراساتها

مجلة علميّة محكّمة تصدر عن مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

١٤٤٢ هـ / ٢٠٢١ م

العدد
٥٠

- مصادر عمارة المسجد النبوي حتى نهاية العهد المملوكي
- مشاركة المرأة المدنية في الشأن العام في عهد النبوة
  خطيبة النساء أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية رضي الله عنها نموذجًا
- المخطوطات المنسوخة في مكة المكرمة الموقوفة في مكتبة الشيخ عارف حكمت
  بمجمع الملك عبد العزيز للمكتبات الوقفية بالمدينة المنورة

مجلة بحوث المدينة المنورة ودراساتها (٥٠)
مجلة علمية محكمة تصدر عن مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

مشاركة المرأة المدنية في الشأن العام في عهد النبوة

خطيبة النساء أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا نموذجاً

د. محمد بن أحمد الأمسمي الشنقيطي

أستاذ مشارك، قسم الدراسات الإسلامية، كلية العلوم والآداب الإنسانية، جامعة طيبة، فرع ينبع، المملكة العربية السعودية

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وبعد: فقد كتب العلماء والأدباء والمربون والإعلاميّون عن المرأة وأثرها في الحياة العامة والخاصة من جميع الجوانب، وطالبوا بحقوقها المشروعة، وكان أغلبهم محقًّا وصائبًا في كتاباته عن المرأة، ومع تطور الزمن وتبدل أحوال المجتمعات، وما استجد من أنماط الحقوق والسياسات، وما لعبته المرأة عبر الحضارات القديمة والحديثة من أعمال جليلة، فإنه من المهم والمتعين تجديد الكتابة عن المرأة المسلمة في عهد النبوة، وما بُني على ذلك العهد الميمون من مكانة عظيمة، للمرأة العربية إلى يومنا هذا. وانطلاقًا من ذلك الواجب المتجدد، فإنه قد ساقني تتبع ذلك المكتوب عن المرأة، إلى التمعن في أسباب التعارض بين نتائج المكتوب عنها، في موضوعات كثيرة من جوانب حياتها، فوجدت أن من أوضح أسباب ذلك التعارض، هو التباين في المنطلق والأهداف.

حيث إن البعض يتصور المرأة عورة مشبوهة، أو متهمة في كل حركة وسكون، فيحتاط لها حتى تبقى حبيسة بيتها، لما يخشى منها أو عليها، وبنى على ذلك أحكامًا في الخروج والدخول، والسفر والحضور، حتى تعاظمت النصوص المتعلقة بالمرأة، وأخذت حيزًا كبيرًا في الفقه والمعاملات، والآداب العامة والعادات الاجتماعية، وقد بلغ الأمر ببعضهم أن جعل ذكر اسمها من العورات، التي يستحى من ذكرها، والسلام عليها من الموبقات، بل والسلام على الرجل بحضرة المرأة من خوارم المروءات، فساءني ذلك؛ لما أعلمه من منافاته للسنة الصحيحة، وما عهد من حياة العرب في العصور الأولى التي هي المرجع للأحكام والآداب.

ثم نظرت في جهود الكتبة المحْدَثين، من الميَّالين للنزعة الحضارية الغربية، التي اختلط بسبب طغيانها الثقافي، والإعلامي على الناس الفوارق الطبيعية والبشرية، بين الرجل والمرأة، فبالغوا في دعوة المرأة المسلمة إلى التنكر لدينها وعاداتها الحضارية، المؤصلة شرعاً وعرفاً، فاغترَّت بعض المجتمعات المسلمة بهذه النبرة القوية، التي تُلقَّن للنساء من خلال المدرسة والإعلام المكتوب والمسموع والمرئي بالتمثيل وغيره.

وقد ترتب على ذلك الخلط الحضاري المتضارب بخصوص المرأة، أن أوقع المرأة نفسها في حيرة، وانقسم النساء في المجتمع الواحد إلى طائفتين، كل منهما تزكي نفسها، وتعيب على أخواتها واقعهم.

فدعاني هذا التصور إلى البحث عن نموذجٍ بارزٍ في عهد النبوة الطاهرة، لنعرضه للنساء جميعًا كما هو بدون زيادات ولا إضافات؛ ليحكمن من خلاله كنموذج يحتذى لواقع المرأة المسلمة، فوجدت أن هذا النموذج الواضح، يتمثل في خطيبة النساء: **أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية الأوسية الأشهلية**، لمكانتها في الدين والعلم والعمل، ولأنها واكبت فجر الهجرة النبوية إلى طيبة الطيبة، فبايعت النبي ﷺ وتفرغت لطلب العلم والدعوة، وتقدمت للمشاركة في العمل العام خدمةً للإسلام والمسلمين، وخدمة لبنات جنسها على الخصوص بجرأة كبيرة، حتى استحقت وسام خطيبة النساء دون غيرها، وتقدمت بين يدي النبي ﷺ وافدة للنساء معلنة القيام بتمثيلهن، ومقررة أن كل النساء على رأيها ويقلن بقولها، ويطالبن بما تطالب به، سواء علمن بموقفها ذلك، أو لم يعلمن به.

وقد فازت في هذا الموقف بثناء النبي ﷺ على عقلها، وجودة رأيها أمام أصحابه الحضور عنده في ذلك الوقت، فناسب من خلالها أن نُعرِّف أخواتنا بمكانة المرأة وواجباتها نحو جنسها، ومجتمعها، ووطنها، وأمتها، حتى تتعلم كيف تكون نافعة وناجحة، ومتمسكة بما وجب عليها التمسك به من الدين والعادات، وتدرك ما يجب عليها التقيد به، وما لا يجب عليها أن تقيد نفسها به، من أوضاع الناس، وعاداتهم التي لا يشهد لها شرع، ولا عقل، ولا مصلحة، ثم تكون واعية لما يطلب منها، فتقوم به على أحسن قيام، وواعية لما لا يلزمها مما أحدثته المجتمعات عبر العصور المتأخرة، فلا يكون عقبة في طريقها للنهوض بنفسها، وبجنسها، ومجتمعها ووطنها، وأمتها.

موضوع البحث:

موضوع البحث هو بيان جهود خطيبة النساء أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية، في الشأن العام، في عهد النبوة، من حيث حضورها الدائم، متعلمة، ومعلمة، وداعية إلى الله تعالى، ومهتمة بشأن المرأة وحقوقها، وواجباتها، ومطالبة بما يخدم بنات جنسها، مما يتعلق بالدين والدنيا.

مشكلة البحث:

يحاول هذا البحث أن يجيب على بعض التساؤلات، المتعلقة بمكانة المرأة العربية المسلمة، من حيث مكانتها في المجتمع المسلم، ومكانتها في الشأن العام للدولة، وتأثيرها على الحياة العامة، وهل كان نظام الإسلام يتيح لها فرصة القيام بذلك الدور المنوط بها؟

وهل قامت بما يلزمها القيام به، تجاه الدولة والمجتمع وبنات جنسها؟

وهل وجدت التقدير المناسب من الدولة والمجتمع؟

وهل بنات جنسها انتفعن بما كانت تقوم به؟

أهمية البحث:

ترجع أهمية هذا البحث إلى أنه محاولة لإبراز جهود امرأة عظيمة، تسمى خطيبة النساء، منذ عهد النبوة، وإظهار جهودها للأمة عمومًا وللنساء خصوصًا، في ميدان العمل المثمر، الشامل لأمور العقيدة والعلم والعبادة، والمشاركة الفعالة في كل ما يخدم الدين والدولة، واكتشاف إمكانية قيام المرأة في كل زمن بما كانت تقوم به خطيبة النساء، وأن المرأة في هذا العصر أُتيحت لها فرص كثيرة، تمكنها من بذل جهدها العلمي والعقلي، والاجتماعي والسياسي، لنفع نفسها ومجتمعها، أكثر مما كان يتوفر، لبنات جنسها، نظرًا لتطور العلوم والمعارف، والوسائل المعينة على العمل المناسب للمرأة.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن مكانة المرأة في عهد النبوة من خلال نموذج حي، يتمثل في قيام امرأة راجحة العقل، تقوم أمام النبي ﷺ، لتعرف بنفسها وبإمكانياتها هي وبنات جنسها في المجالات العملية والعلمية، العامة والخاصة، وتطالب بتمكينها هي وأخواتها من أداء تلك الواجبات، وتطالب بحقوق النساء عمومًا، حتى يعلم الناس أن هذا الدين قد كرّم المرأة، وشرع لها قوانين قرآنية ونبوية، تمكنها من العمل المناسب لها، وتحصل من خلاله على المكانة العالية، سياسيًّا

واجتماعيًّا، الأمر الذي يبعث الفخر والاعتزاز بالمرأة العاقلة العاملة لصالح دينها ووطنها، وبنات جنسها، ولتكون قدوة حسنة، في مجال العمل الصالح.

أسباب اختيار البحث:

بناء على ما تقدم من حيثيات دوافع الكتابة في هذا المجال، فإنني اخترت الكتابة في هذا الموضوع للأسباب الآتية:

١) نفع النساء بإظهار جهود هذه المرأة التي كاد النسيان يقضي على جهودها المباركة.

٢) نقل حياتها العملية والعلمية، والدينية، للناس من خلال مورثها الذي سجله العلماء لها.

٣) توظيف ما روي عنها من علم ومعارف، توظيفًا يستفاد منه في الحياة العامة والخاصة.

٤) الكشف عن مشاركتها في الشأن العام، حتى يقتدى بها في هذا المجال.

٥) وضع حياتها بين يدي هذا الجيل من الفتيات المتعلمات، حتى يجدن أمامهن نموذجًا حيًّا لفتاة في عهد النبوة، تخطب بين يدي النبي ﷺ وتعرض جهودها وخبراتها، وتطالب بحقوقها وحقوق بنات جنسها، وتسهم في الحياة العامة بعلمها وعقلها وفكرها، وتجاهد مع المجاهدين، وتنشر علمها بين الناس، معتزة بمكانتها.

الدراسات السابقة:

كتبت عن المرأة كتب وبحوث قديمًا وحديثًا، ونشرت عنها مقالات عديدة، بعضها يؤيد مساعيها في المشاركة في الشأن العام، ويتوسع بعض الكتب في فتح

المجالات أمامها، ويخالفه بعضهم، فيضيق عليها حتى يشعرها بأنها حبيسة حجرتها طول حياتها، وذلك التعارض من دوافع البحث عن كتابة منصفة، للحق في شأن المرأة المسلمة، وحيث لم نجدها استعرضت كتب التراجم والكتب المخصصة لأعلام النساء ودورهن في الحياة، فوجدت نسيانًا تامًّا لهذه المرأة العظيمة، وعلمت أنه لم يتقدم في الدراسات السابقة بحث هذا الموضوع، المتعلق بقيام خطيبة النساء، بالمشاركة في الشأن العام في عهد النبوة، فتصديت للكتابة عنها لتكون نموذجًا، نتصور من خلاله المرأة العربية المسلمة في أشرف زمن نالت فيه مكانتها، وحظيت بالتقدير من رأس الدولة الإسلامية والمجتمع.

منهج البحث:

اتبعت في كتابة هذا البحث المنهج المناسب له، وهو منهج الاستقراء، والتحليل، من حيث إنني أجمع النصوص، التي تعالج موضوعًا واحدًا مشتركًا، وندرسها دراسة تستقصي أبعادها، الدينية والاجتماعية والسياسية، المتعلقة بالشأن العام، لنستخلص منها أوجه القدوة النموذجية لخطيبة النساء.

تقسيمات البحث:

وضعت الخطة المنهجية للبحث على هذه المقدمة، التي تناولت فيها الموضوعات السابقة، وتمهيد، نتناول فيه مكانة المرأة العربية في الجاهلية وصدر الإسلام، وقسمت البحث إلى قسمين، كل قسم تحته مباحث ثم خاتمة بها أبرز نتائج وتوصيات البحث.

تمهيد: مكانة المرأة في الجاهلية وصدر الإسلام، وقد اشتمل على العناصر الآتية:

١- في مجال حرية التدين.

٢- في ميدان حرية الهجرة.

٣- في مجال الرأي والمشورة.

٤- في مجال الجهاد.

٥- في مجال المال والاقتصاد.

القسم الأول: حياة خطيبة النساء، وفيه مباحث:

المبحث الأول: التعريف باسمها ونسبها في الأنصار.

المبحث الثاني: ظهور شخصية خطيبة النساء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من خلال مكانة قومها في الجاهلية والإسلام.

المبحث الثالث: بروز شخصيتها بوصفها خطيبة للنساء.

المبحث الرابع: مركز وفادتها على النبي ﷺ ممثلة للنساء.

القسم الثاني: جهود خطيبة النساء في المشاركة في الحياة العامة، وفيه مباحث:

المبحث الأول: خطيبة النساء والتعلم والتعليم.

المبحث الثاني: خطيبة النساء وسعيها للنساء في أمر عدة المطلقة.

المبحث الثالث: واجبات الزواج.

المبحث الرابع: التحذير من آفات اللسان.

المبحث الخامس: ستر العلاقات الزوجية.

المبحث السادس: الحلي للنساء والإسراف فيه.

المبحث السابع: مصافحة المرأة للرجال الأجانب وحكم ذلك.

المبحث الثامن: الذب عن أعراض الناس.

المبحث التاسع: النميمة وأضرارها الدينية والاجتماعية والسياسية.

المبحث العاشر: التشديد في تحريم الخمر.

المبحث الحادي عشر: التوجيه في أمر الرضاع أثناء الحمل.

المبحث الثاني عشر: المشاركة في المناسبات الاجتماعية.

المبحث الثالث عشر: طاعة ولاة الأمر والمبادرة إلى إكرامهم.

المبحث الرابع عشر: الزجر عن ظلم الرعية وما يرخص فيه من الكذب.

المبحث الخامس عشر: العناية بالجوانب الاقتصادية المتصلة بالسلوك العام.

المبحث السادس عشر: العناية بالمشاريع الخيرية.

المبحث السابع عشر: العناية بصيانة المجتمع من شرور الفتن.

خاتمة البحث

وبالله التوفيق. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تمهيد

مكانة المرأة في الجاهلية وصدر الإسلام:

عندما نقول إن المرأة في الجاهلية كانت تعيش بدون حقوق، أو أن منزلتها في المجتمع ساقطة أو أن مكانتها عند زوجها وذويها كانت مهدرة، فإن الواقع العملي يرد علينا بأن الرجل والمرأة معًا في ذلك المجتمع الذي لا مرجعية فيه للحقوق ولا الواجبات إلا العادات البشرية الجاهلية، ولا ينال فيه أحد مكانة معتبرة إلا من كان ذا نفوذ أو مركز قوي، سواء كان رجلًا أو امرأة، فكما أن البارزين من الرجال في ذلك العهد قلة.

فإن نسبة النساء البارزات توازيها كثرة وقلة، ثم إن المحتجين بأن العرب الذين عيَّرهم القرآن بوأد البنات أو أن أحدهم إذا بشر بمولود أنثى يستاء من ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة النحل].

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الزخرف].

فإن مرد تلك الظاهرة هي الشعور بالحاجة إلى الحماية والرعاية؛ لما كان

مجتمع الجاهلية يعيشه من قلة الأمن وانتشار العداوات، ومظاهر السلب والنهب، وليس ذلك زهدًا في الأنثى من حيث هي أنثى، بدليل عدم عموم ذلك في العرب، إذ الشعور بالخوف من المهانة عام لكل مولود؛ لأن لفظ الأولاد شامل للذكور كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [سورة الأنعام]. وقوله تعالى:﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [سورة الإسراء]، ثم إن قتل الأولاد بصفة عامة خشية الفقر والحاجة ليس صفة عامة في العرب ولا عادة مستمرة عندهم، بل هي حالة إنسانية عابرة دافعها الأنفة العربية الجاهلية، والخوف من الوقوع في العار بالسقوط ضحية الحاجة، أو عار السبي بالنسبة للبنات، وكل ذلك بمعيار الجاهلية التي لا تعمم على الناس، ومن الأدلة على ذلك أن القبائل العربية المتحضرة أو شبه المتحضرة كانت الكثافة الأنثوية فيها عالية بحيث يجتمع عند الرجل الواحد زوجات يبلغن العشر ونحوها، وهذا برهان على نفي الوأد أصلًا عنهم، أو توجيهه إلى أنه حالة نادرة. قد تكون من بعض الأعراب الجفاة، الذين تضيق صدورهم بأولادهم في حالة الجفاف والفقر أو في حالة النزاعات المسلحة التي يرى فيها الرجل حرمه عند الغلبة والعجز أسرى عند الغير أو أرقاء عند عدوه، وقد توجه حالة الوأد إلى أنه شعور بالذنب والعار في حالات السفاح التي ينتج عنها حمل غير متوقع في عادة من لم يتعود منهم تحمل عاره

فيدسه في التراب بالإجهاض، أو الإسقاط أو حتى بعد ظهوره مخلوقًا سويًّا فإن ذلك العهد كأي جاهلية تبيح الفاحشة وتستهين بنتائجها، كما يشاهد في المجتمعات المتحضرة في هذا العصر، مع تمجيد بعضنا لهم بأنهم يعتبرون المرأة ويساعدونها نظامًا على توفير حقوقها.

ثم إن الإسلام اعتبر عزل الرجل عن زوجته شكلًا من أشكال الوأد وسماه النبي ﷺ بالوأد الخفي تنفيرًا من كل صور الاعتداء على النسل البشري، فلما جاء الإسلام مصححًا أوضاع المجتمع الجاهلي عقائديًّا واجتماعيًّا، بدأ بإظهار عورات الجاهلية لينفر الناس مما كانوا يعايشونه بكل قبائحه الإنسانية والعقائدية والفوضوية، فجعل قتل الأولاد مخافة الجوع أو غيره بعد الشرك مباشرة في عظم الذنب والقبح. عن أبي وائل، عن عبد الله رضي الله عنه قال: سألت -أو سئل- رسول الله ﷺ: أيّ الذنب عند الله أكبر، قال: «أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك» قلت: ثم أيّ؟ قال: «ثم أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك» قلت: ثم أيّ؟ قال: «أن تزاني بحليلة جارك» قال: ونزلت هذه الآية تصديقًا لقول رسول الله ﷺ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ﴾ [سورة الفرقان:٦٨][(١)].

وفي الإسلام كانت المرأة العظيمة الأولى هي خديجة بنت خويلد زوج النبي ﷺ وقد اكتسبت العظمة في زمن الجاهلية بجهودها التجارية وعقليتها النادرة، في حسن التعامل مع الناس وجودة الرأي عند الحاجة لذلك، لذا كانت جاهزة للقيام بدور

(١) صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن: بَابُ قَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا﴾: ٦/ ١٠٩، الحديث: (٤٧٦١).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

عظيم عندما قدم عليها النبي ﷺ ترجف فرائصه من فجأة وقع دخول الملك عليه في غار حراء وغطه مرات حتى بلغ منه الجهد مبلغه ثم تعليمه ذلك العلم الجديد الذي حفظه من قراءة واحدة، وأعرب لها عن خشيته على نفسه من أن يكون لحقه مس من الجن أو لمة من الشيطان فقالت خديجة رضي الله عنها قول الواثق: "كلا والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق"(١).

ثم تصرفت مع الموقف تصرف الحكيم الذي يوصل الأمر إلى من يعطي حلولًا عن علم ودراية وتجربة فذهبت معه إلى ورقة بن نوفل لعلمه بجنس النبوات السابقة لأنه تنصر في الجاهلية وقرأ كتب أهل الكتاب فكان الجواب بعد سماع ما وقع من النبي ﷺ كما في بقية الحديث قال: (... فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعًا، ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: «أو مخرجي هم»، قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا. ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي...)(٢).

(١) صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي: باب كيف بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟: ١/ ٦، الحديث: (٣).
(٢) المصدر السابق.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ثم واصلت خديجة رضي الله عنها الأدوار الحسنة في خدمة هذا الشأن العام الذي نتج عن الواقع الدعوي الجديد حتى توفيت في العام العاشر من البعثة النبوية وهي تحمل أسمى الأوسمة التقديرية من الله تعالى ثم من زوجها رسول الله ﷺ(١).

ويمكننا تقسيم مشاركة المرأة المسلمة في الشأن العام بعد خديجة رضي الله عنها على النحو الآتي:

١- في مجال حرية التدين.

٢- في ميدان حرية الهجرة.

٣- في مجال الرأي والمشورة.

٤- في مجال الجهاد.

٥- في مجال المال والاقتصاد.

ونعطي في كل مجال أو ميدان نموذجًا أو نموذجين.

١) في مجال حرية التدين:

شاركت المرأة في مجال الدعوة وتبليغ الدين، كشأن عامّ يهم كل من آمن بهذا الدين، في فترة الدعوة السرية، ثم لما أمر الله نبيه ﷺ بالصدع بالحق، والتحول إلى الدعوة العلنية، أظهرت المرأة مشاركتها في ذلك، وكان أغلب من آمن من الرجال أيدتهم نساؤهم في ذلك التحدي الديني الاجتماعي السياسي، مما يدل على الحرية الشخصية للمرأة العربية في التدين بالدين الذي ترغب فيه سواء في ذلك دخولها في

(١) انظر: صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار: باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها، ٥/ ٣٨-٣٩، الأحاديث: (٣٨١٥-٣٨٢١).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الإسلام أو بقاؤها على دين قومها، ويشهد لذلك إسلام خديجة وبناتها رضي الله عنهن جميعا، ودخول عدد من نساء قريش في هذا الدين الجديد، سواء في ذلك مع أزواجهن أو بدون أزواجهن، وسواء في ذلك اعترض عليهن أهلهن وتلقين منهم الأذى، وقد ظهر ذلك في الهجرة إلى الحبشة الأولى والثانية، ثم كان ظهور تلك الحرية أشهر عند بيعة العقبة الأولى والثانية وتكللت حرية المرأة في اختيار العقيدة والمبايعة عليها والمفارقة لأهلها أو زوجها عند الهجرة إلى المدينة المنورة، واكتمل ذلك في المدينة المنورة عند توافد نساء الأوس والخزرج وغيرهنّ للمبايعة على الدين الجديد وسماع ما يلزم المرأة حيال دينها من واجبات ومهام تتعلق بها في نفسها وواجباتها نحو زوجها وأسرتها وعموم المجتمع المسلم، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [سورة الممتحنة].

ثم لم تخل مناسبة من المناسبات العامة كالعيدين أو غيره من دواعي الإرشاد والتوجيه إلا كانت المرأة حاضرةً في ذلك، سواء بتذكيرها بهذه البيعة ومسؤولياتها حيالها، أو تأكيد جديد على استقلاليتها في حرية التدين، ثم في جانب حرية المرأة في المعتقد الذي كانت عليه من كفر مع إسلام زوجها وانتقاله عنها رغم أن ارتباط النساء بأزواجهنّ مشهور جدًا حتى ولو طلقها، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ

مَآ أَنفَقُواْ ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمۡ شَيۡءٞ مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ إِلَى ٱلۡكُفَّارِ فَعَاقَبۡتُمۡ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتۡ أَزۡوَٰجُهُم مِّثۡلَ مَآ أَنفَقُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴿١١﴾ [سورة الممتحنة](١).

ففي هذه الآية دليل على أن للمرأة الحرية في اختيار عقيدتها، وأن حكم الله عند اختيارها لدينها أن تعامل على ذلك الأساس من دون أن تعلق بزوج فارقها لاختياره دينًا غير دينها، أو اختيارها دينًا غير دينه، ولا يخفى ما في ذلك من إبراز إرادة المرأة وحريتها في الاختيار، حيث انتهت التبعية للرجل في أدقّ الأمور وأكثرها تأثيرًا في حياة الناس، إذ ما بعد العقيدة من الارتباطات البشرية تابعٌ لها، ومتأثر بما يمليه الاعتقاد.

٢) في ميدان حرية الهجرة والسفر:

من الأمور المهمة في حياة الإنسان حرية التنقل صيانةً لدينه أو بحثًا عن مصلحته، وقد أسس الإسلام للمرأة المسلمة حق التنقل والسفر والهجرة للبلد الذي تأمن فيه على حياتها أو دينها، أو تحقق فيه مصالحها، وهذا الميدان من الحرية للمرأة ينافي ما اشتهر عند الناس أن المرأة العربية كانت بمثابة المتاع للرجل يتحكم فيها، ويمنعها منع سيطرة وقسوة من أي حرية وتصرف، فقد تواردت الأخبار الصحيحة أن المرأة العربية المسلمة خرجت مهاجرة بدينها رغم وجود والديها، أو من في حكمهم، ولم يتمكنوا

(١) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري: الحافظ ابن حجر العسقلاني: الدار السلفية: ٧/ ٤٥٣، الحديث: (٤١٨٠-٤١٨١)، و: ٨/ ٦٣٦-٦٤٠.

وانظر: تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م: ٨/ ٩١-١٠٢.

من منعها؛ لوجود حرية التنقل حسب قرار المرأة وما تعتقده أو تراه مصلحة لها، حيث هاجر عدد من النساء للحبشة الهجرة الأولى والثانية(١).

ثم هاجر نساء عديدات إلى النبي ﷺ في المدينة النبوية، بعد وصوله مهاجرًا إليها، وتتابع وصول النساء مهاجرات مع أزواجهن وبدون أزواجهن أو أهليهن، كما تقدمت الإشارة إلى ذلك في مبايعة النبي ﷺ للمهاجرات ومشروعية اختبارهن في صدق الإيمان والهجرة عند المبايعة، ثم تم استثناؤهن من الإرجاع للكفار عند وصولهن مهاجرات في صلح الحديبية القاضي بإرجاع من آمن إلى الكفار مدة الصلح، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [سورة الممتحنة].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ [سورة الممتحنة].

وجاء في صحيح البخاري في هذه المناسبة: «...وجاءت المؤمنات مهاجرات..»(٢).

---

(١) انظر: رحمة للعالمين، سيرة النبي الأمي ﷺ: محمد سليمان سلمان المنصورفوري: دار السلام للنشر والتوزيع- الرياض: ص ٥٣ وما بعدها. وانظر: فتح الباري: مصدر سابق: ٧/ ١٨٦ وما بعدها.

(٢) صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب غزوة الحديبية: ٥/ ١٢٦، الحديث: (٤١٨١).

=

وكان من بينهن الفتيات الصغيرات، مثل أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط التي جاء أخواها للنبي ﷺ يريدان إرجاعها لهم، فرفض النبي ﷺ ذلك، وهذا إقرار منه ﷺ لفعلها واختيارها مفارقة الأهل بحرية تامّة طلبًا لما تعتقد أنه من مصالحها الدينية أو الدنيوية(١).

٣) في مجال الرأي والمشورة:

جودة الرأي هبة من الله تعالى ينميها الإنسان العاقل بالعلم والتجارب وهذا أمر مشترك بين الرجال والنساء، وقد سجل التاريخ أسماء نساء عظيمات في العلم والرأي وجودة القريحة حتى تفوَّقن بذلك على كثير من الرجال ممن عُرفوا بجودة الرأي والقريحة، ونعتمد في ذلك أعظم مصدر وهو الوحي المعصوم، فهذه مِلكة سبأ بلقيس فاقت رجال أهل مملكتها فكانت ملكة عاقلة بعيدة النظر في السياسة والرأي والمشورة، وذلك لما أخبر الله تعالى عنها في اختيار المواقف المناسبة للتعاطي مع رسالة سليمان الذي أعطاه الله مُلكًا شمل الإنس والجن، فكان من العقل والحنكة السياسية عدم المغامرة في التصدي له بالقوة العسكرية، كما فهم من الرأي الذي صدر عن الرجال عند عرضها عليهم تسلمها لكتاب من سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ٢٣ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ٢٤ أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا

وانظر: فتح الباري: ٧/ ٤٥٤ وما بعدها.

(١) القصة في: صحيح البخاري، كتاب الشروط: باب ما يجوز من الشروط في الإسلام والأحكام والمبايعة: ٣/ ١٨٨، الحديث (٢٧١١). و: فتح الباري: مصدر سابق: ٥/ ٣٤٦-٣٥٠.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ * قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۖ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُمۡۖ بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُمۡ بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٞ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة النمل].

فهذه القصة وما وقع فيها من تشاور وتعاطي لأمر عام يحتاج إلى رأي

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

سديد، قد كان في جانب هذه المرأة التي يتعلم النساء منها الحكمة واللجوء إلى المشورة في الأمور العويصة ثم اختيار الأمثل والأنسب للشعب والحكومة. ويحدثنا القرآن أيضًا عن فتاة عاقلة استعملت جودة فكرها في اختيار رجل مناسب في وقت أشد ما تحتاج فيه الفتاة لعقلها الذي يجلب النفع لها ولأسرتها أو مجتمعها وهو الرجل القوي الأمين، الذي يعبر عنه بوضع الرجل المناسب في المكان المناسب، فاقترحت على أبيها استعماله في عمل هو يحتاج إليه وهم يحتاجون إليه، فحلت بجودة عقلها وسرعة بديهتها مشكلته ومشكلتهم بدون تكاليف تذكر، هذا مع أن تجربتها السابقة في الحياة العملية ليست طويلة ولا عميقة، ولكن دلتها قوة العقل على استخلاص هذه التجربة في تلك الساعة كما يفهم من سياق الآيات التالية، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ٢٣ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ٢٤ فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ٢٦ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧﴾ [سورة القصص].

وإذا تقدمنا إلى الحديث عن نساء العرب، وجدنا سجلات التاريخ تذكر

أن المرأة العربية كانت ذات رأي عظيم، وأنها تبديه عندما يحتاج الناس إليه، وغالبًا ما يكون فيه السداد والحل المناسب للمعضلات، كما كانت تعطي للسامع خبرة نادرة تتناقلها الأجيال، ويرجع ذلك بلا شك إلى تميزها بعقل غريزي راجح، وإلى تجربة فذة في أمور الحياة وسنن الله تعالى فيها، ومن ذلك قول أمّنا خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا للنبي ﷺ وهو في حالة فجأة الوحي له وخشيته على نفسه وهو أعقل العقلاء، حيث قالت تثبته: (.. كلا، أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدًا، فوالله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق)[(١)]، فقد استفادت هذه الأحكام العقلية من تجاربها في الحياة، وأن من سنن الله الثابتة عند العقلاء، أنه تعالى لا يخذل عبدًا تفضل عليه بأصول مكارم الأخلاق، لأنها أصول الخير في البشرية[(٢)]. وقد ذكر العلماء من أهل الحديث والسير والتاريخ نساء عديدات كنّ لأزواجهن ومجتمعهن أقوى سند وعدة في الملمات، شاركن في الشأن العام شعورًا بالأهلية والمسؤولية، فهذه بنت النبي ﷺ زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رغم ما تعرضت له من أذية الكفار تساند زوجها أبا العاص بن الربيع، فتنقذه مرتين من القتل أو الأسر، فقد أرسلت

(١) صحيح البخاري: كتاب التعبير: باب أول ما بدأ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة: ٩/ ٢٩، الحديث: (٦٩٨٢).

وانظر: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ، والثلاثة الخلفاء: أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي، تحقيق: د. محمد كمال الدين عز الدين علي، عالم الكتب، ط١، ١٤١٧هـ: ٢/ ٤٥.

(٢) انظر: بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها: عبد الله بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي، دار الجيل- بيروت لبنان، ط٣، ١٩٨٤م: ١/ ٧-٢٥.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

في فدائه عندما كان في أسرى الكفار في يوم بدر مالًا ثمينًا من جملته قلادتها التي تعتز بها كثيرًا، ثم لما فرّ من الأسر في عودته بعير للكفار من الشام ودخل عليها ليلًا مستخفيًا واستجار بها وتستر عندها، دخلت المسجد من ناحية صفة النساء، وتركت النبي ﷺ حتى دخل في الصلاة صرخت تقول: إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع، فلما سلّم النبي ﷺ خاطب الناس بشأنه وشأن العير التي سلبها منه المجاهدون فأجازوا جوارها، وهذا من أعظم الشأن العام في الإسلام، حيث الحرب والموالاة والمعادات والعلاقات السياسية والأمنية[1]. وفي أشدّ حالات النزاع العسكري، والتحول الكبير في الإسلام بفتح مكة حيث جاءت أم هانئ رضي الله عنها للنبي ﷺ وقالت: (قلت: يا رسول الله زعم ابن أمي أنه قاتل رجلًا قد أجرته فلان بن هبيرة، فقال رسول الله -ﷺ-: «قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ» قالت أم هانئ: وذاك ضحى)[2]. وهذه المشاركة لم تنلها امرأة في ديانة أخرى أو نظام قديم أو حديث ولو كانت وزيرة الدفاع.

وقد أخذ النبي ﷺ برأي أمّنا أم سلمة رضي الله عنها في موقف كاد أن تقع بسببه الهلكة لأصحاب النبي ﷺ المبايعين له تحت الشجرة ثم أمرهم بتطبيق ما ترتب على الصلح مع كفار قريش ومنه الحكم الشرعي فيمن حصر عن الحرم وهو محرم أن ينحر هديه ويحلق رأسه ويتحلل من الإحرام بذلك فلما استبطأ امتثالهم

(١) انظر: بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها: مصدر سابق: ١/ ٧-٢٥.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الجزية: باب أمان النساء وجوارهن: ٤/ ١٠٠، الحديث (٣١٧١).
وانظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: أحمد بن محمد بن أبى بكر القسطلاني، ط٧، المطبعة الكبرى الأميرية- مصر، ١٣٢٣هـ: ٥/ ٢٣٧.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

لذلك شق عليه ودخل على أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فكأنها رأت الغضب في وجهه، فسألته فأخبرها الخبر، فقالت عن رأي صائب سديد كما في الصحيح: (.. فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأصحابه: «قوموا فانحروا ثم احلقوا». قال: فوالله ما قام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس. فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك؟ اخرج، ثم لا تكلم أحدًا منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك. فخرج فلم يكلم أحدًا منهم حتى فعل ذلك: نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه. فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضًا، حتى كاد بعضهم يقتل بعضًا غمًّا)[١].

قال الحافظ ابن حجر: "... وفيه فضل المشورة وأن الفعل إذا انضم إلى القول كان أبلغ من القول المجرد، وليس فيه أن الفعل مطلقًا أبلغ من القول، وجواز مشاورة المرأة الفاضلة، وفضل أم سلمة ووفور عقلها"[٢].

وهذا من أعظم الدلائل على حفظ الإسلام لمكانة المرأة واعتبارها مشاركة في الشأن العام على أعلى مستوياته في السلم والحرب.

٤) في مجال الجهاد:

حرم الإسلام قتل النساء في الحروب وأثناء الجهاد في سبيل الله تعالى، وغضب

(١) صحيح البخاري: كتاب الشروط: باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط: ٣/ ١٩٣ وما بعدها، الحديث: (٢٧٣٢).

(٢) فتح الباري: مصدر سابق: ٥/ ٣٤٧.

النبي ﷺ لما رأى امرأة مقتولة في بعض مغازيه، وقال: «ما كانت هذه لتقاتل»[(١)]. وكان الإسلام منسجمًا مع تعاليمه في هذا النهي عن قتل النساء حيث لم يوجب على المرأة الجهاد وحمل السيف، تجنبًا لتعريضها للقتل حيث منع قتل أختها في الطرف الآخر، ومع ذلك تشوف النساء للجهاد مع رسول الله ﷺ رغبة في ثوابه العظيم ومحبة في نصرة الدين: فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، أنها قالت: قلت يا رسول الله، ألا نغزو ونجاهد معكم؟ فقال ﷺ: «لكن أحسن الجهاد وأجمله الحج، حج مبرور»[(٢)]. وهذا التوجيه من النبي ﷺ للسائلة للحج يفيد عدم فرضية الجهاد وإعطاء النساء بديلًا ينلن به الأجر الذي رغبن فيه، ولا يحرم على المرأة المسلمة المشاركة في جهود الجهاد أو القتال عند الضرورة بدليل إقرار النبي ﷺ للنساء في الخروج عدة مرات ككتائب مساندة وفرق احتياطية يمارسن عمليات ذات شأن عظيم في الدعم والمساندة والإخلاء للجرحى ومداواتهم، وحملهم إلى أماكن آمنة، وغير ذلك من الخدمة التي تشعر الرجل المجاهد بأن له ظهرًا يدفعه للتقدم في ميادين المعارك وينتصر فيها، فقد خرجت أول كتيبة في أقرب معركة وقعت في محيط المدينة وهي معركة أحد التي لحق المسلمين فيها عناء كبير، فمنهن من قاتلت ومنهن من عالجت الجروح، ومنهن من حملت القِرَب وسقت الجرحى، ومنهن من جاءت على البعير لتحمل الشهداء، وغير ذلك[(٣)].

(١) انظر: صحيح البخاري: كتاب الجهاد: باب جهاد النساء: ٤/ ٣٢، الأحاديث: (٢٨٧٥- ٢٨٨٣).

(٢) صحيح البخاري: كتاب جزاء الصيد: باب حج النساء، ٣/ ١٩، الحديث: (١٨٦١).

(٣) المصدر السابق.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

قال الحافظ ابن حجر في معرض بيان حكم الجهاد للمرأة: "قال ابن بطال: دلّ حديث عائشة رضي الله عنها على أن الجهاد غير واجب على النساء، ولكن ليس في قوله: «جهادكنّ الحج»، أنه ليس لهن أن يتطوعن بالجهاد، وإنما لم يكن عليهن واجبًا؛ لما فيه من مغايرة المطلوب منهن من الستر ومجانبة الرجال"(١).

ومن أجل التطوع في الجهاد خرجت كتيبة نسائية مع الكتائب المتوجهة إلى خيبر لفتحها كما قال ابن هشام بسنده: عن امرأة من بني غفار، قد سمّاها لي، قالت: أتيت رسول الله ﷺ في نسوة من بني غفار، فقلنا: يا رسول الله، قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا، وهو يسير إلى خيبر، فنداوي الجرحى، ونعين المسلمين بما استطعنا، فقال: «على بركة الله»(٢).

وعن الربيع بنت معوذ قالت: (كنا مع النبي ﷺ نسقي، ونداوي الجرحى، ونرد القتلى إلى المدينة)(٣).

ففي ميدان الجهاد بالسيف أعفيت المرأة المسلمة من وجوب القتال عليها، أو الخروج في الكتائب والجيوش الغازية في سبيل الله، كما سبق، رغم طلبها لذلك في أول غزوة حصل فيها قتال كبدر الكبرى، فعن عبد الرحمن بن خلاد الأنصاري، عن أم ورقة بنت عبد الله بن نوفل الأنصارية، أن النبي ﷺ لما غزا بدرًا، قالت: قلت له: يا رسول الله، ائذن لي في الغزو معك أمرّض مرضاكم، لعل الله أن يرزقني شهادة، قال: «قري في بيتك فإن الله تعالى يرزقك الشهادة»، قال: فكانت تسمى الشهيدة،

(١) فتح الباري: مصدر سابق: ٦/ ٧٦.
(٢) المصدر السابق.
(٣) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير: باب مداواة النساء الجرحى في الغزوة: ٤/ ٣٤، الحديث: (٢٨٨٢).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

قال: وكانت قد قرأت القرآن فاستأذنت النبي ﷺ أن تتخذ في دارها مؤذنا، فأذن لها، قال: وكانت قد دبرت غلامًا لها وجارية فقاما إليها بالليل فغماها بقطيفة لها حتى ماتت وذهبا، فأصبح عمر فقام في الناس، فقال: من كان عنده من هذين علم، أو من رآهما فليجئ بهما، فأمر بهما فصلبا فكانا أول مصلوب بالمدينة(١).

ولكن المرأة الأنصارية رغم عدم الإيجاب عليها قاتلت بين يدي النبي ﷺ، وضربت بالسف دفاعًا عنه، وأقرها على ذلك، وأثبت ذلك منقبة لها، وتطوعت تطوعًا يدل على شجاعة المرأة العربية المسلمة بين يدي القائد العام، وترددت في حياة النبي ﷺ أسماء نساء أنصاريات مجاهدات مثل: أم عمارة(٢)، وهي التي قال النبي ﷺ عنها يوم أحد: «ما التفت يمينًا ولا شمالًا إلا وأنا أراها تقاتل دوني»(٣). وأم سليط(٤)، وأم عطية(٥)، وأم عامر(٦)، وأم سنان(٧)، وأم سليم(٨)، وأم حرام(٩). ونجد أن علماء السير والغزوات كان واجبًا عليهم علميًّا ودينيًّا وتاريخيًّا العناية أكثر بإبراز

(١) سنن أبي داود: كتاب الصلاة: باب إمامة النساء: ١/ ١٦١، الحديث (٥٩١).

(٢) انظر ترجمتها في: الطبقات الكبرى: محمد بن سعد بن منيع الهاشمي، البصري، البغدادي، تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار صادر – بيروت، ١٩٦٨م: ٨/ ٣٠٢.

(٣) المصدر السابق: ٨/ ٣٠٥.

وانظر ترجمتها في: الإصابة في تمييز الصحابة، الحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ: ٨/ ٤٤١.

(٤) انظر خبرها وترجمتها في: الإصابة: مصدر سابق: ٨/ ٤٠٨.

(٥) انظر خبرها وترجمتها في: الطبقات الكبرى، مصدر سابق: ٨/ ٤، و: الإصابة: مصدر سابق: ٨/ ٤٣٨.

(٦) انظر خبرها في: الطبقات الكبرى: مصدر سابق: ٨/ ٨. وانظر: الإصابة: مصدر سابق: ٨/ ٤٢٦.

(٧) انظر خبرها في: الطبقات الكبرى: مصدر سابق: ٨/ ٢٢٧.

(٨) انظر خبرها في: الإصابة: مصدر سابق: ٨/ ٤٠٩ وما بعدها.

(٩) انظر أخبارها في: الإصابة: مصدر سابق: ٨/ ٣٧٥- ٣٧٦.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

موقف من قالت للنبي ﷺ يوم أحد: (كل مصيبة بعدك جلل) أو نحوها من الكلمات المؤثرة إيمانيًّا في نفوس المسلمين؛ لقوة شخصية من صدرت منها تلك الكلمات في الوقت الذي فقدت فيه كل من تعوِّل عليه في حياتها المادية والوجدانية من والد رحيم، وأخ حنون، وزوج عطوف. وفي سبيل تدارك ذلك النقص أحببت تخصيص هذه الفقرة لتتبع الكتب لتمحيص القول فيمن وقفت ذلك الموقف الإيماني المؤثر لسلامة النبي ﷺ في وقت فاجعة المصيبة على كل مفقود محبوب.

ويمكن أن نحصر ذلك التتبع في خمس نسوة تقريبًا، ثلاث منهن صرح بعض العلماء بأسمائهن ونسب لكل واحدة منهن ذلك القول، واثنتان يرشحهما لمثل هذا الموقف ما عرف عنهن من قوة الإيمان مع فقدهن لنفس العدد والوصف الذي فقدته من ذكرت أسماؤهن.

فمنهن هند بنت عمرو بن حرام(١)، ومن نساء الأنصار المرأة الدينارية التي نسبت لها هذه الكلمة: السميراء بنت قيس(٢). ومنهن أسماء بنت يزيد بن السكن أم عامر(٣). ومنهن أم سعد بن معاذ كبشة بنت رافع بن معاوية الخزرجية(٤). ومن النساء الفضليات المعدودات في نساء الأنصار ليلى بنت اليمان وهو: حسيل بن جابر(٥).

(١) انظر: فتح الباري، مصدر سابق: ٣/ ٢١٦ وما بعدها.

(٢) انظر: المغازي: محمد بن عمر الواقدي، تحقيق: مارسدن جونس، ط٣، دار الأعلمي- بيروت، ١٤٠٩هـ: ١/ ٢٦٥، وانظر: ٣٠٧.

(٣) انظر: المصدر سابق: ١/ ٣١٥. وانظر: تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك: محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري، دار التراث، بيروت ط٢، ١٣٨٧هـ: ٢/ ٥٣٣.

(٤) انظر: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد: محمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض: ط١، دار الكتب العلمية-بيروت، ١٤١٤هـ: ٤/ ٢٢٩.

(٥) انظر: الطبقات الكبرى: مصدر سابق: ٣/ ٤٤١.

فهؤلاء النسوة المصرح بأسمائهن في كتب السير والتاريخ، والمرشحات لمزاحمتهن على حيازة شرف النطق بهذه الكلمات المعبرة عن شدة المحبة والإيثار للنبي ﷺ على كل محبوب، وعند المقارنة بينهن نجد امرأة من بني دينار هي السميراء بنت قيس إحدى نساء بني دينار قد أصيب ابناها النعمان بن عمرو، وسليم بن الحارث، ولم يذكر لها زوجًا أو أخًا، وعندما نقف مع عبارة امرأة من الأنصار على الإطلاق: قد أصيب زوجها وأبوها وأخوها، نجد أن هندًا قد أصيب زوجها وولدها وأخوها، ولم يذكر أبوها، وإذا تقدمنا إلى ما ذكر للأنصارية أم عامر الأشهلية نجد أنها أصيبت بأبيها وأخيها وجماعة من عمومتها، ولكن لم يذكر لها زوج في شهداء معركة أحد، ولا يمكن أن يكون لها ولد لسنها في ذلك الوقت فهي تقول بأن النبي ﷺ جاء للمدينة وهي ناهد أومن أتراب عائشة أم المؤمنين(١). وأما أم سعد بن معاذ التي اشتوت مصيبتها في ولدها عمرو لما رأت النبي ﷺ سالماً، فهي داخلة فيمن يؤثرن سلامة النبي ﷺ على غيره من الأحباب وتكلمت بذلك، ولكنها لم تصب بزوج أو أخ أو أب كما في النصوص، فبقيت لنا ليلى بنت اليمان، وهي معدودة في نساء أخوالها من بني عبد الأشهل، وقد استشهد أبوها: حسيل بن جابر اليمان، وولدها: عمرو بن ثابت، وزوجها: ثابت، ولم يذكر لها أخ كما في النصوص ولم يصرح باسمها فيمن تعرضن للنبي ﷺ، وعبرن عن اغتباطهن بسلامته رغم مصابهن. وبناء على هذه المقارنة التي لم يستطع الباحث

(١) وذلك لقولها: (مرَّ بي النبي ﷺ وأنا في جوار أتراب لي فسلم علينا). الأدب المفرد: باب التسليم على النساء: ٣٦٠، الحديث: (١٠٤٨).

ولقوله ﷺ: «أعطي تربك» كما في حديث ملاطفة النبي ﷺ لمن اشتركن في تجلية عائشة رضي الله عنها؛ فلا يمكن أن يكون لها ولد يقاتل وهي ناهد، وترب لأمنا عائشة رضي الله عنها.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

إصدار حكم جازم أن صحابية معينة هي التي قالت للنبي ﷺ: "كل مصيبة بعدك جلل" فإننا نقول بأن نساء الأنصار أو مجموعة منهن شق عليهن إشاعة مقتل النبي ﷺ فتلقينه ليتأكدن من سلامته، وأن كل واحدة منهن رغم عمق مصيبتها في عدد من أهلها الأدنين كالأب والابن والأخ والزوج، عبّرن عن خفة وقع ذلك عليهن إذ سلم النبي ﷺ، وفي ذلك مقنع للباحث الذي يريد أن يبرهن على إيثار نساء الأنصار لسلامة النبي ﷺ على كل عزيز عليهن أصبن به في معركة أحد أو غيرها من الغزوات.

وبهذا نعلم أن المرأة مشاركة منذ عهد النبوة في أعظم ميادين الحياة بجانب الرجال، وأن ذلك استمر في عهود الخلافة الإسلامية، حتى نقل أهل السِّير والأخبار أن خطيبة النساء قتلت بعمود فسطاطها تسعة من علوج الروم الذين ألجأهم القتال إلى الاقتراب من خيمتها. قال ابن كثير: "وقتلت بعمود خيمتها يوم اليرموك تسعة من الروم ليلة عرسها"(١).

وهذا في عهد الفتوحات الإسلامية في عهد عمر رضي الله عنه، وهو شاهد على استمرار مشاركة المرأة في الجهاد والقتال، حيث اعتبر مشاركة هذه المرأة بصدّ هجوم هؤلاء من أحسن مناقبها في الجهاد ضد أعداء الإسلام.

٥) في مجال المال والاقتصاد:

من أبرز دلائل الرشد والاعتبار للإنسان أن يمكن من حرية التصرف بعقله

(١) البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م: ١٢/ ١٢٨.
وانظر: الإصابة في تمييز الصحابة: مصدر سابق: ٨/ ٢٢.

ورأيه وتدبيره ليكسب المال الحلال ويتصرف فيه بحرية وإرادة مستقلة، وهذا ما كفله الإسلام للمرأة المسلمة، وشرع الإسلام للمرأة مصادر دخل مستمرة تستفيد منها المال الحلال وتتصرف فيه بحرية تامة كالبيع والشراء، والوظائف المتعددة التي هي من المجالات المشتركة بين الرجال والنساء كالتعليم والطب والأعمال اليدوية التي تناسب المرأة، وتختص المرأة بمصادر أخرى للمال كالمهر الذي يسمى لها عند عقد النكاح وكل ما يصلح أن يؤول إلى المال كالنفقة الواجبة والكسوة والمسكن، ثم ميراث المال من زوجها أو ولدها، أو أحد أبويها، أو إخوتها وأخواتها، وهذا كله معروف في النصوص من القرآن والسنة، وكتب الفقهاء والأحوال الشخصية، ولكن نكتفي هنا بأمثلة أو بما يدل على أن واقع المرأة المسلمة من الناحية الاقتصادية كان شاهدًا على حريتها في تحصيل المال وحرية التصرف فيه.

فهذه أمّنا خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت لها تجارة ومال تعامل الرجال فيه بالقراض ما بين مكة والشام حتى كان من المتعاملين معها في هذا المجال نبينا محمد ﷺ، حيث ربحت رحلته في مالها أرباحًا كبيرة كانت تلك الرحلة التجارية من أسباب رغبتها في الزواج منه، فلما تزوجها لم يذكر التاريخ أنه احتاج للاشتغال في أي عمل وخصوصًا بعد أن أكرمه الله بالنبوة، وإنما ذلك لأنه وجد السعة في مالها هي حتى قال في معرض الثناء عليها: «وواستني بمالها إذ حرمني الناس»[1]. فنأخذ من إضافة النبي ﷺ المال

(١) كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري: محمد الخضر بن سيد عبد الله بن أحمد الجكني الشنقيطي، مؤسسة الرسالة، بيروت ط١، ١٤١٥هـ: ١/ ١٥٩. وانظر: تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية: علي بن محمد بن أحمد بن موسى بن مسعود الخزاعي، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ:١/ ٦٥٦.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

إلى خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وتصرفها فيه بالمواساة في ذلك الوقت العصيب من الدعوة والتضييق والحصار في الشِّعب أن للمرأة كامل الحرية في تحصيل المال والإنفاق منه حسب ما تراه، وأن أعظم مشاركة للمرأة في الشأن العام هو الإنفاق الذي تتحقق به العدالة ونشر العلم والنور الذي جاء به سيدنا محمد ﷺ.

وعندما تأسست الدولة في المدينة المنورة، ونُظِّم المجتمع وحددت الشرائع، وجدنا المرأة المسلمة ازدادت حريتها في أوجه كسب المال بما توفر لها من حقوق مالية في الشريعة الإسلامية(١)، وما نصت عليه السنة المطهرة من حقها في الخروج لقضاء حوائجها بنفسها دون شروط احتياطية ما دامت الحاجة داعية لذلك، فكانت المرأة تخرج للسوق وتبيع وتشتري، وتنفق من مالها على نفسها وعلى زوجها وأولادها، وتتصدق منه وتنفق بأمر النبي ﷺ في مناسبات عديدة دون إذن من زوج أو غيره، وكان من طرق كسب المال خروج المرأة مرافقة للجيش، فتداوي الجرحى، وتطبخ الطعام للجيش، وتغزل وتخيط الملابس، وتساعد في سبيل الله تعالى، فتستحق بتلك الأعمال مالًا تتصرف فيه حسب مصالحها كما هو حال كل الجنود الآخرين، ثم إن المرأة كانت على عهد النبي ﷺ تكون طبيبة وممرضة، فتبني خيمتها في المسجد وتجاور فيه متبرعة بوقتها لمعالجة المريض ورعاية الغريب الضعيف، وكذلك كان لها الحقّ في أن تؤسس في داخل المسجد صُفَّة -أي: دكة- أو غرفة خاصة بالنساء للتعلم والتعليم والتعبد وممارسة الأعمال اليدوية من غزل وغيره، لتقدم للمجتمع صناعة يدوية

(١) انظر: التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية في المدينة المنورة العلمية: محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير الكتاني، تحقيق: عبد الله الخالدي، ط٢، دار الأرقم-بيروت: ٢/ ٧٧ و: ٣١٠.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

متقنة من خياطة وغزل ونسج وغير ذلك، كما تذكر المصادر من كتب الحديث والسيرة أسماء متعددة من النساء اللائي لهن المبَرَّات والصدقات والبساتين والدور الكبيرات التي تسع الوفود العظيمة من الرجال الوافدين على النبي ﷺ من أجل الإسلام وغيره في عام الوفود وما قبله وما بعده.

فيؤخذ من هذا كله أن المرأة المسلمة كانت مشاركة بدرجات عالية في جميع مجالات الشأن العام للدولة والمجتمع علاوة على قيامها بشؤون بيتها وأسرتها.

القسم الأول: حياة خطيبة النساء.

وفيه مباحث:

المبحث الأول: التعريف باسمها ونسبها في الأنصار:

هي أسماء بنت يزيد بن السكن بن رافع بن زيد بن عبد الأشهل الأشهلية، الأوسية الأنصارية، تكنى: أم عامر، وأم سلمة(١).

وأمها: أم سعد بنت خزيم بن مسعود بن قلع بن حريش بن عبد الأشهل(٢).

أسرتها: تعتبر أسرتها من خيار الأسر الأنصارية من حيث التنافس في نصرة الدين وطاعة رسول الله ﷺ، فقد قال النبي ﷺ في الأوس: «خير دور الأنصار بنو النجار، ثم بنو عبد الأشهل.....»(٣).

فهنا نجد النبي ﷺ يعطيهم وسامًا كبيرًا إذ جعل ترتيبهم في الخيرية بعد أخواله من بني النجار والذين هم من جيرانه في المدينة النبوية، وقد عرض عليهم أن يكون نقيبهم بعد استشهاد نقيبهم سعد بن معاذ رضي الله عنه، وهذه الخيرية إنما اكتسبوها بالتسابق إلى نصرة الدعوة الإسلامية والتنافس في الجهاد في سبيل الله تعالى بعدما أذن الله فيه أو فرضه على المسلمين، ثم لقوة صلتهم بالنبي ﷺ وتفانيهم في طاعته وخدمته. وإذا نظرنا إلى مكانة بيتها من بني عبد الأشهل نجد أنهم في مقدمة قومها في

(١) سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ: ٢/ ٢٩٦.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى: مصدر سابق: ٨/ ٣١٩. و: الاستبصار في نسب الأنصار: موفق الدين بن قدامة المقدسي، تحقيق: علي نويهض: دار الفكر، ١٣٩٢هـ: ص٢١٨.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الفضائل: باب في خير دور الأنصار رضي الله عنهم: ٤/ ١٩٤٩، الحديث: (٢٥١١).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الحظوة في الدين الإسلامي، لما عرف من سبقهم للدخول في الدين ومبايعة النبي ﷺ حيث كان بيت آل السكن رجالًا ونساءً يقدمون الغالي والنفيس حبًّا لله ورسوله وخدمةً لهذا الدين العظيم، فهم من أوائل من يشملهم ثناء الله تعالى على الأنصار في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩﴾ [سورة الحشر]، فمن شرفهم أنهم بعد الإيمان بالله ورسوله حازوا شرف محبة المهاجرين إلى الله ورسوله، حبًّا لله ورسوله، ومن شرفهم أنهم رغم الخصاصة يؤثرونهم بالمال والسكن والطعام، ولا يجدون في صدورهم حرجًا مما يختص به إخوانهم من المهاجرين من الغنائم والخيرات، لأنه قد استولى على قلوبهم محبة إخوانهم، وإذا استقر الحب في الله قلب عبد من عباد الله تعالى، فإنه يكون قلبًا صالحًا، فلا مكان للحسد فيه(١).

وقد تنافست الأوس والخزرج على نصرة النبي ﷺ، والقيام بأعباء الدعوة والجهاد في سبيل الله تعالى، وإنفاق الأرواح والأموال في ذلك، ولما بدأ الأوس بتلبية توجيه النبي ﷺ في التخلص من ألدّ أعداء الدعوة في محيط المدينة النبوية، وهو كعب بن الأشرف الذي آذى الله ورسوله والمؤمنين، فقتله رجال من الأوس، فنفس الخزرج عليهم الفوز بذلك، وتقدموا في الرهان على قتل ألدّ أعداء الدعوة في محيطها الخارجي، المعروف بتاجر الحجاز، ابن أبي الحقيق، اليهودي المحرض على الله ورسوله، والممول للأحزاب، فقد روى ابن كثير عن عبد الله بن كعب بن مالك، قال:

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم: مصدر سابق: ٨/ ٦٩.
وانظر: التفسير الكبير للرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٠/ ٥٠٨.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

(وكان مما صنع الله لرسوله ﷺ أن هذين الحيين من الأنصار؛ الأوس والخزرج، كانا يتصاولان مع رسول الله ﷺ تصاول الفحلين، لا تصنع الأوس شيئًا فيه غناء عن رسول الله ﷺ إلا قالت الخزرج: والله لا يذهبون بهذه فضلًا علينا عند رسول الله ﷺ وفي الإسلام. فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها، وإذا فعلت الخزرج شيئًا قالت الأوس مثل ذلك. قال: ولما أصابت الأوس كعب بن الأشرف في عداوته لرسول الله ﷺ، قالت الخزرج: والله لا يذهبون بها فضلًا علينا أبدًا. قال: فتذاكروا من رجل لرسول الله ﷺ في العداوة كابن الأشرف، فذكروا ابن أبي الحقيق، وهو بخيبر، فاستأذنوا رسول الله ﷺ في قتله، فأذن لهم.....)[١].

ففي هذه الحادثة كانت المبادرة من قومها الأوس، وقد تنافس والدها يزيد بن السكن وأبناؤه وإخوته على الذود عن رسول الله ﷺ في ميدان معركة أحد عندما كاد الكفار أن يخلصوا إليه فقال: «من رجل يبيع لنا نفسه؟» فوثب إليه فتية من الأنصار خمسة، منهم زياد بن السكن، فقاتلوا حتى كان آخرهم زياد بن السكن، فقاتل حتى أثبت، ثم ثاب إليه ناس من المسلمين، فقاتلوا عنه حتى أجهضوا عنه العدو، فقال رسول الله ﷺ لزياد بن السكن: «ادن مني» وقد أثبتته الجراحة، فوسده رسول الله ﷺ قدمه حتى مات عليها[٢].

ولما عرفنا مكانة قومها في الإسلام يحسن بنا أن نلم بمكانتها هي لنتعرف كيف تكونت شخصيتها حتى نالت هذه المكانة الدينية والسياسية كممثلة للمرأة

(١) البداية والنهاية: مصدر سابق: ٦/ ١٢٨.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١، دار الجيل- بيروت، ١٤١٢هـ: ٣/ ١١٤٣.

المسلمة في عهد النبوة، فتكوين الشخصية النابهة للترقي في سلم العمل العام من شرط التصدي له ظهور عصبة من الأهل والعشيرة، ثم لا بد فيها من استعداد فطري يعبر عنه بالملكة الدافعة للإنسان حتى يتصدى لمهام الأمور، ويأخذ العلم المناسب لأهدافه وقدراته العقلية والعملية، فإننا نفرد لكل مجال ساهمت فيه مبحثاً مناسباً لقدر المشاركة والأثر الذي أحدثه ذلك في شخصيتها الاعتبارية.

المبحث الثاني: ظهور شخصيتها من خلال مكانة قومها في الجاهلية والإسلام:

يساعد المتصدي للإسهام في الشأن العام أن يكون معروفا لدى المجتمع أو الفئات التي يقوم بتمثيلها، أو النيابة عنها؛ لأن النائب يدافع عن حقوق الناس، ويطالب بأمور تخدمهم، أو يقوم بتعريفهم بما يجب عليهم عمله نحو دينهم أو وطنهم، أو ما يلزمهم القيام به من الأدوار السياسية أو الاجتماعية.

وتلك المعرفة لها مقدمات اجتماعية تعزز مكانة النائب في بدايات أمره، وتعرف بمواقفه ودفاعاته عن المجتمع، أو تمثيله للناس.

ومن أهمها: معرفة مكانة قومه في المجتمع من حيث تأثيرهم في الحياة العلمية، ومشاركتهم في الحياة السياسية ومكانتهم الاجتماعية، وحركتهم الاقتصادية، وذلك أن نظرة الناس في البدايات لكل شخص مؤثر أو يحاول أن يكون مؤثرًا إنما تنطلق من خلفية اجتماعية مخزونة في عقلية المجتمع وثقافته عن قوم ذلك الشخص وبيئته قبل أن يعرف هو بجهوده في الحال، أو التي تبرز في المستقبل المنظور، بعامل الوقت والممارسة والاحتكاك بأمور الحياة وتطوراتها المختلفة.

وإذا انطلقنا من هذه المعطيات الاجتماعية لنتعرف على الخلفية الاجتماعية التي يستحضرها المجتمع المدني عن قوم خطيبة النساء أسماء بنت يزيد بن السكن عندما وقفت بين يدي النبي ﷺ لتعلن قيامها بتمثيل فئة النساء، نجد أن الأوسيين كانوا في الجاهلية لهم تأثير كبير في حياة أهل يثرب بحسب نظر ذلك المجتمع لمعايير التأثير كخوض الحروب، والسعي لإطفائها وجلب السلم والأمن للمجتمع؛ وأن ذلك المعيار قد ثمنه الإسلام بإطلاقه الشعار المعروف في الحديث الشريف: «فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا»(١).

فصراعهم العسكري قبل الإسلام مع إخوانهم من الخزرج مازال ماثلًا أمام المجتمع، وزعماؤهم في تلك المعارك ما زالوا يشعرون بمكانتهم في الحياة السياسية والعسكرية، والاجتماعية، ويتدثرون بمكانة آبائهم الذين عرفوا بالشجاعة والإقدام، وجلب النصر والعزة والمنعة لقومهم، الأمر الذي أثمر نظرة كبيرة في مجال الحياة العامة لذلك الجيل من الأوسيين(٢).

وعندما اختار الله تعالى لأهل يثرب أن يكونوا بداية نواة لتأسيس الدولة الإسلامية، وأن يكونوا من أنصار دين الله تعالى بعد هجرة النبي ﷺ إليهم، كان قوم خطيبة النساء من الأوس من أول المبادرين لاعتناقه، والمتبوئين لداره، والمناصرين

(١) صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء: باب ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ﴾ الآية [سورة البقرة:١٣٣]: ٤/ ١٤٧: الحديث (٣٣٧٤).

وانظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري: أبو محمد محمود بن أحمد بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٥/ ٢٩٦، و: البداية والنهاية، مصدر سابق،١١/ ٣١٨.

(٢) انظر: البداية والنهاية: مصدر السابق، ٦/ ١٢٨.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

لسفراء النبي ﷺ إليهم قبل الإذن له بالهجرة إليهم؛ وذلك رصيد اجتماعي عظيم وسياسي كبير يؤثر في نفوس المجتمع المدني، ويورث الهيبة لمن نصر الدين في بداية التأسيس، ويثمر المكانة العالية لكل من يقف من الأوسيين أمام الناس ليعلن تقدمه لتمثيل أي فئة من ذلك المجتمع المدني(١).

ولما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة النبوية، وبدأ بالدعوة إلى الله تعالى فيها، كان الأوس من أبرز مجتمع أهل يثرب حماسة لهجرته وهجرة أصحابه، الذين تقدموا بين يديه، فكان لهم النصيب الأكبر من ثناء الله على الأنصار كما تقدمت الآية بذلك.

ولما استقر النبي ﷺ بالمدينة النبوية، وبدأ الناس يفدون إليه للمبايعة، والمواساة، والقيام بالجهود التأسيسية لدولة الإسلام، انطلاقًا من بناء المسجد كان قوم خطيبة النساء أسماء بنت يزيد بن السكن في مطلع المبايعين، والباذلين للمال، والعاملين في تعمير المسجد بأيديهم(٢).

ولما أذن الله تعالى لنبيه ﷺ بوضع وثيقة تنظيمية للمجتمع المدني بجميع أطيافه، كان قوم أسماء رضي الله عنها لهم حضورهم السياسي المؤيد لهذه الوثيقة التاريخية التي ترتبت على الوفاء ببنودها أمور عظيمة، كما ترتب على نقض المواثيق والعهود التي تضمنتها أمور أيضًا عظيمة، كالذي وقع من القبائل اليهودية(٣).

---

(١) انظر: المصدر السابق، ٤/ ٣٨٠.

(٢) انظر: السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة (قراءة جديدة): محمد بن حمد الصوياني، ط١، مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ: ١/ ٣٠٦.

(٣) انظر: نشأة الدولة الإسلامية على عهد رسول الله ﷺ: د/ عون الشريف قاسم، دار الكتب الإسلامية، ط٢، ١٤٠١هـ: ٣٣-٣٧.

=

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وكان لقوم أسماء رضي الله عنها الحضور الذي يعزز مكانتهم في الإسلام أكثر فأكثر، عند أول خروج للجهاد في سبيل الله تعالى مع رسول الله ﷺ حيث خرج ببعض أصحابه يطلب العير العائدة من الشام بقيادة أبي سفيان بن حرب، وذلك بعد أن نزل عليه الإذن بالجهاد في سبيل الله تعالى (١).

فهذه المعطيات الدينية والاجتماعية أسهمت كثيرًا في التعريف بأسماء رضي الله عنها، في مجلس النبي ﷺ، قبل أن تُعرف برجاحة عقلها، وبجرأتها في الحق، وببذلها ومشاركاتها العلمية والاجتماعية ثم الجهادية بعد ذلك.

خطيبة النساء في الإسلام ومبايعاتها للنبي ﷺ :

كانت أم عامر الأشهلية أسماء بنت يزيد بن السكن من أوائل النساء المبايعات للنبي ﷺ عندما وصل إلى المدينة مهاجرًا، فبايعته على الإسلام، وعلى ما تضمنته البيعة المعروفة ببيعة النساء بما فيها من شروط ذكرها الله في كتابه، ورويت بروايات كثيرة في الصحاح وغيرها، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [سورة الممتحنة].

وقد روت خطيبة النساء أسماء في تلك البيعة أحاديث صالحة فحدثت عن النبي ﷺ، وتحدثت عن مشاهداتها في تلك المناسبات، وقد كان النبي ﷺ يتعهد النساء في مناسبات عديدة بتذكيرهن ببنود تلك البيعة ويقول لهن: «أنتن على

(١) مغازي الواقدي: مصدر سابق: ١/ ٣٨٤.

ذلك؟»[١]. فيقلن: نعم. فعن سلمى بنت قيس -وكانت من خالات النبي ﷺ من بني عدي بن النجار- قالت: جئت رسول الله ﷺ نبايعه في نسوة من الأنصار، فلما شرط علينا أن لا نشرك بالله شيئا، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف، قال في تلك الشروط: «ولا تغششن أزواجكن» [٢]. قالت: فبايعناه ثم انصرفنا، فقلت لامرأة منهن: ارجعي فسلي رسول الله ﷺ: ما غش أزواجنا؟ قالت: فسألته، فقال: «تأخذ ماله، فتحابي به غيره»[٣]، وهذا يعني أن من رعاية حقوق الزوج صيانة ماله، والكف عن إتلافه في المجاملات ومحاباة الآخرين، وهذه التي رجعت لتسأل رسول الله ﷺ هي أم عامر كما يأتي مصرحًا به في النص الآتي، قال ابن سعد: "أول من بايع رسول الله ﷺ -يعني: من الأنصاريات بعد الهجرة- أم سعد بن معاذ وهي كبشة بنت رافع بن عبيد، وأم عامر بنت يزيد بن السكن"[٤].

وعن دورها في النشاط الدعوي في الإقبال على مبايعة النبي ﷺ، تقول خطيبة النساء: (جئت أنا وليلى بنت الحطيم، وحواء بنت يزيد بن السكن بن كرز بن زاعوراء، فدخلنا عليه -أي: النبي ﷺ- ونحن متلفعات بمروطنا بين المغرب

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل: من مسند بني هاشم: مسند عبد الله بن العباس عن النبي ﷺ: ٥/ ١٩٠: الحديث (٣٠٦٣).

(٢) المصدر السابق: الملحق المستدرك من مسند الأنصار: حديث سلمى بنت قيس: ٤٥/ ١٠٣، الحديث (٢٧١٣٣).

(٣) المصدر السابق.

(٤) الطبقات الكبرى: مصدر سابق: ٨/ ١٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

والعشاء، ... فقال: «ما حاجتكن؟» فقلنا: جئنا لنبايعك على الإسلام)[١].

فكان حضورها لمجلس النبي ﷺ في مطلع الهجرة مبكرًا، ومبايعاتها مع النساء متكررة، حيث أوردت لنا الأخبار عنها شهود بيعة النساء بعد بيعتها لنفسها أولًا، ثم جاءت مع خالتها ثانيًا، ثم حضرت مع نسوة آخرين مبايعتهم، ونقلت وقائع تلك المجالس الربانية مع النبي ﷺ.

وانطلاقًا من استمرار حضورها في مجالس المبايعات التي يخاطب النبي ﷺ فيها النساء تعرَّف على خطيبة النساء وخاطبَها باسمها، وتعرفت هي عليه كقائد موجه ومطاع، وعلم النبي ﷺ من خلال تكرر حضورها عنده أنها امرأة عاقلة، لها قدرٌ كبيرٌ من الاهتمام بدينها ومجتمعها، فتكونت من ذلك التواصل الخيري معطيات تتيح للشخص النابه مثلها، أن تكون كلمته عند ذلك القائد مسموعة، كما تسمح له كذلك بالتقدم بالمقترحات، وتتيح له سائر التدخلات التي تخدم الدين والمجتمع، لذلك نجد خطيبة النساء أسماء رضي الله عنها تستمر في تكوين شخصيتها البارزة، وتعرف بنفسها شيئًا فشيئًا، من خلال مشاركاتها في مناسبة زفاف أمّنا عائشة رضي الله عنها الذي كان متقدمًا نسبيًّا حيث وقع في شوال من السنة الثانية من الهجرة، فشهدت أسماء تلك المناسبة السعيدة، وشاركت في الإعداد حتى إنها قالت: "قينت عائشة"[٢]. أي: زينتها. أو: شاركت فعليًّا في جلائها وتزيينها للزفاف.

وقد نقلت طرفًا مما وقع بين النبي ﷺ والنساء اللائي أهدين له عائشة

(١) الطبقات الكبرى: مصدر سابق: ٨/ ١٢.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل: الملحق المستدرك من مسند الأنصار: من حديث أسماء بنت يزيد: ٤٥/ ٥٧٠: الحديث (٢٧٥٩١).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وأدخلنها عليه ضحوة، وأن افتتاح مجلس الحضور عنده ﷺ كان بتقديم النبي ﷺ لبنا لعائشة رضي الله عنها، وأنها استحيت من تناول الإناء من يد النبي ﷺ وأن أسماء تدخلت فنهرت عائشة قائلة:

"خذي من يد رسول الله ﷺ اللبن"، وأن عائشة رضي الله عنها أخذته وشربت منه قليلًا، ثم روت بقية القصة، والتي منها عرض النبي ﷺ اللبن على الحضور بقوله لعائشة: «ناوليه تربك»، وأن أسماء أيضا تدخلت وقالت: "بل خذه فاشرب منه ثم ناولنيه"(١).

وأن النبي ﷺ أخذه وشرب منه وناولها هي القدح، فقالت: "فجلست ثم وضعته على ركبتي، ثم طفقت أديره، وأتتبعه بشفتي لأصيب منه مشرب رسول الله ﷺ "(٢).

ومن خلال هذه التصرفات نلمح منها جودة الرأي وقوة المبادرة والجرأة مع سلامة الذوق ونبل المقاصد، وحب تحصيل الخير، وهذه أمور ضرورية لمن يتصدى للأمور العامة، أو يؤهل نفسه للقيام بالنيابة والتمثيل للشعوب في مصالحها ومطامعها ومطامحها.

ويتأكد لنا بروز شخصيتها المبكر من خلال إقرار النبي ﷺ لها على هذه المبادرات وتقريره لها على هذه الممارسات رغم صغر سنها في ذلك الوقت، بدليل قولها إنها من أتراب عائشة رضي الله عنها، ولقولها: "وكنت جاريةً ناهدًا جريئةً عليه" -تعني النبي ﷺ- ولقولها: "كنت من أجرئهن على مساءلته"(٣). وقد جاء وصفها بجزالة

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الأدب المفرد: باب التسليم على النساء: ٣٦٠، الحديث: (١٠٤٨).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الرأي، وجودة العقل لتدخلها في مناسبات عديدة كناطقة باسم النساء، ومدافعة عن حقوقهن ومستشكلة عند رسول الله ﷺ ما ينسب إليهن أو يخصهن به، ومن ذلك وقوفها من بين النساء بعد موعظة النبي ﷺ وقوله لهن: « يا معشر النساء، تصدقن، فإني رأيتكن أكثر أهل النار»[١]. وقوله: «ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن»[٢]. فرأت خطيبة النساء أنَّ هذا الكلام يحتاج إلى استفسار وبيان؛ لأنه يعتبر عند من سمعه ولم يوضح له المراد منه أنه يعيِّر النساء ويحكم عليهن بأمور فيها نقص عليهن أو انتقاص من عقولهن ودينهن، فقامت أسماء من بين النساء: (فقالت امرأة منهن جزلة: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟)[٣]. ثم قالت: يا رسول الله: (وما نقصان العقل والدين؟)[٤] فطلبت البيان وقت الحاجة، وتسببت في توضيح هذه الأوصاف التي علم منها أنه لا كسب للمرأة فيها، ولا تدل على فساد في دينها أو عقلها الطبيعي. فلعل صغر سنها وشجاعتها وتكرار مشاركاتها في مناسبات الحضور عند النبي ﷺ أكسبها تلك الجرأة الأدبية التي جعلتها في هذا السن تشارك في تقيين عائشة وزفافها إلى النبي ﷺ. وإهدائها له، وهي من صواحبها الأمر الذي يشجعها أكثر فأكثر على الاستمرار في الحضور والمشاركات العلمية والدعوية، وتوجيه الأسئلة للنبي ﷺ في المناسبات العديدة كما سنرى إن شاء الله تعالى.

(١) صحيح البخاري: كتاب الزكاة: باب الزكاة على الأقارب: ٢/ ١٢٠، الحديث (١٤٦٢).

(٢) المصدر السابق.

(٣) سنن ابن ماجة: أبواب الفتن: باب فتنة النساء: ٥/ ١٣٨، الحديث (٤٠٠٣).

(٤) المصدر السابق.

المبحث الثالث: بروز شخصيتها بوصفها خطيبة للنساء:

نبحث هنا عن أسباب وصْفها بخطيبة النساء، ومن ذكر ذلك من العلماء، إظهارًا لشخصيتها في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته.

إنّ أول ما ظهر للعلماء من استعداد خطيبة النساء للقيام بمسؤولية ما يسمى في عصرنا بالتمثيل النيابي هو بروز شخصيتها الدينية والاجتماعية، ورجاحة عقلها مع صغر سنها، إذ تقول في مطلع البيعة للنساء: ... أن رسول الله ﷺ جمع نساء المسلمين للبيعة فقالت له: أسماء ألا تحسر لنا عن يدك يا رسول الله؟ فقال لها رسول الله ﷺ: «إني لست أصافح النساء، ولكن آخذ عليهن»[(١)].

ومن شواهد بروز شخصيتها مبكرًا قول عائشة رضي الله عنها: (تزوجني ﷺ فأتتني أمي فأدخلتني الدار فإذا نسوة من الأنصار في البيت...)، قال الحافظ ابن حجر: (وقوله في حديث الباب: فإذا نسوة من الأنصار، سمى منهن: أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية، فقد أخرج جعفر المستغفري من طريق يحيى بن أبي كثير عن كلاب بن تلاد عن تلاد عن أسماء: مقينة عائشة -أي: المشاركة في تزيينها عند حفل الزفاف للنبي ﷺ-، قالت: لما أقعدنا عائشة لنجليها على رسول الله ﷺ جاءنا فقرب إلينا تمرًا ولبنًا)[(٢)].

وقد جزم العلماء أن أسماء بنت يزيد بن السكن خطيبة النساء هي المتحدثة باسم النساء في كل مناسبة يطالب النساء فيها النبي ﷺ بموعظة أو تعليم،

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل: الملحق المستدرك من مسند الأنصار: من حديث أسماء بنت يزيد: ٤٥/ ٥٥٣، الحديث: (٢٧٥٧٢).

(٢) فتح الباري لابن حجر: مصدر سابق: ١/ ٣٢٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أو عرض لمصلحة تعني النساء، ولو لم يرد التصريح باسمها في ذلك الطلب، قال الحافظ ابن حجر في شرحه لحديث موعظة النبي ﷺ للنساء يوم العيد وتوجيهه الخطاب لهن مذكرًا لهن بشروط مبايعته لهن: «أنتن على ذلك؟»، وأن امرأة واحدة منهن أجابته، ولم يجبه غيرها، فقالت: "نعم". قال الحافظ: "أما المرأة فيحتمل أن تكون أسماء بنت يزيد بن السكن خطيبة النساء فهي التي قالت في شيء من هذه القصة: (وكيف تكون؟)، أخرجه الطبراني والبيهقي من حديثها"(١).

ومن حَدِيث أبي سعيد قال: (جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: ذهب الرجال بحديثك،... لم أقف على اسمها ويحتمل أن تكون هي أسماء بنت يزيد بن السكن)(٢).

وفي حديث أخذ البيعة على النساء أن لا ينحن على ميت. قالت امرأة منهن لم يجبه غيرها، قال الحافظ: (هذه المرأة يقال: إنها أسماء بنت يزيد بن السكن)(٣).

وفي سؤال امرأة من الأنصار رسول الله ﷺ عن كيفية غسل المرأة من الحيض قال النووي: "وذكر الخطيب الحافظ أبو بكر البغدادي في كتابه الأسماء المبهمة وغيره من العلماء: أن اسم هذه السائلة أسماء بنت يزيد بن السكن التي كان يقال لها خطيبة النساء، وروى الخطيب حديثًا فيه تسميتها بذلك"(٤).

ويقول ابن حجر عند شرحه لحديث ابن عباس رضي الله عنهما في موعظة النبي ﷺ

(١) فتح الباري لابن حجر: مصدر سابق: ١/ ٢٦٦.

(٢) المصدر السابق: ١/ ٣٤٣.

(٣) المصدر السابق: ١/ ٢١٧.

(٤) المصدر السابق: ٢/ ٤٦٨.

للنساء يوم العيد: "ولم أقف على تسمية هذه المرأة إلا أنه يختلج في خاطري أنها أسماء بنت يزيد بن السكن التي تعرف بخطيبة النساء، فإنها روت أصل هذه القصة في حديث أخرجه البيهقي والطبراني وغيرهما من طريق شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد: أن رسول الله ﷺ خرج إلى النساء وأنا معهن، فقال: «يا معشر النساء إنكن أكثر حطب جهنم»، فناديت رسول الله ﷺ وكنت عليه جريئة"(١).

وفي سنن الترمذي: عن شهر بن حوشب، قال: حدثتنا أم سلمة الأنصارية، قالت: (قالت امرأة من النسوة: ما هذا المعروف الذي لا ينبغي لنا أن نعصيك فيه؟ قال ﷺ: «لا تنحن»، قلت: يا رسول الله إن بني فلان قد أسعدوني على عمي ولا بد لي من قضائهم، فأبى علي، فعاتبته مرارًا، فأذن لي في قضائهن، فلم أنح بعد قضائهن ولا غيره حتى الساعة، ولم يبق من النسوة امرأة إلا وقد ناحت غيري). قال أبو عيسى [الترمذي]: "هذا حديث حسن، وفيه: عن أم عطية، قال عبد بن حميد: أم سلمة الأنصارية هي: أسماء بنت يزيد بن السكن"(٢).

ولما طلب النساء من النبي ﷺ تخصيص وقت لهن يعلمهن فيه وقلن له في سياق الطلب: إن الرجال غلبونا على مجلسك. كما جاء في حديث أَبِي سَعِيدٍ المتقدم، قال: (جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يوما نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله، فقال: «اجتمعن في يوم كذا وكذا في مكان كذا وكذا»، فاجتمعن، فأتاهن رسول الله ﷺ، فعلمهن مما علمه

(١) شعب الإيمان للبيهقي: رد السلام: فصل في المكافأة بالصنائع: ١١/ ٣٨٢، الحديث (٨٧٠٦).
(٢) سنن الترمذي: أبواب تفسير القرآن: باب ومن سورة الممتحنة: ٥/ ٤١١، الحديث (٣٣٠٧). [حكم الألباني: حسن]. وانظر: فتح الباري، مصدر سابق: ٢/ ٤٦٨.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الله، ثم قال: «ما منكن امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة، إلا كان لها حجابا من النار»، فقالت امرأة منهن: يا رسول الله، أو اثنين؟ قال: فأعادتها مرتين، ثم قال: «واثنين واثنين واثنين»(١).

قال الحافظ في شرحه: "جاءت امرأة لم أقف على اسمها ويحتمل أن تكون هي أسماء بنت يزيد بن السكن"(٢). فهذه النصوص توضح لنا قوة حضور خطيبة النساء في الشأن العام واعتبار العلماء لها خطيبة للنساء، بمعنى: أنها هي الممثلة لهن في تلك المجالس والمناسبات المباركة.

المبحث الرابع: مركز وفادتها على النبي ﷺ ممثلة للنساء:

يذكر أهل الحديث والسير والتاريخ أن النساء في عهد النبي ﷺ، وأبي بكر وصدرًا من خلافة عمر كانت لهن صُفَّة كما تقول أسماء: "قد تخاللن فيها" أي بمعنى: تحابهن في الله تعالى، بجوار المسجد النبوي، أو داخله يجتمعن فيها، ويتعلمن ويتعبدن ويمارسن بعض الأعمال الخيرية، وأن تلك الصفة أو السقيفة هي التي واعدهن النبي ﷺ فيها يومًا فعلمهن ووعظهن في مجلس خاص بهن عندما قلن له غلبنا الرجال على مجلسك، فخصص لهن وقتًا، وأن هذه الصُّفة هي المركز الذي قررت خطيبة النساء أن تتوجه منه إلى النبي ﷺ وهو بين أصحابه، لتعلِن أنها وافدة النساء إليه(٣). ولتقول له: "إنه ما من امرأة كائنة في شرق ولا غرب سمعت

(١) صحيح البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة: باب تعليم النبي ﷺ أمته من الرجال والنساء مما علمه الله، ليس برأي ولا تمثيل: ٩/ ١٠١، الحديث: (٧٣١٠).

(٢) فتح الباري، مصدر سابق: ٢/ ٤٦٨.

(٣) معرفة الصحابة: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، ط ١، =

بمخرجي هذا أو لم تسمع إلا وهي على مثل رأيي"[1].

وقد تحدثت خطيبة النساء في هذا الموقف بين يدي النبي ﷺ، وبحضور من أصحابه رضوان الله عليهم، بما يعتبر في هذا العصر بيانًا شاملًا عن الاعتراف بالمسؤوليات المدنية والأسرية، والمطالبة بالحقوق التي يريدها الناطق باسم هذا التجمع المدني النسائي، فقالت مدلية ببيانها: (عن مسلم بن عبيد، عن أسماء بنت يزيد الأنصارية من بني عبد الأشهل، أنها أتت النبي ﷺ وهو بين أصحابه، فقالت: بأبي أنت وأمي أنا وافدة النساء إليك، واعلم، نفسي لك الفداء، أنه ما من امرأة كائنة في شرق ولا غرب سمعت بمخرجي هذا أو لم تسمع إلا وهي على مثل رأيي، إن الله بعثك إلى الرجال والنساء كافة، فآمنا بك وبإلهك، وإنا معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم ومفضى شهواتكم، وحاملات أولادكم، وإنكم معاشر الرجال فضلتم علينا بالجُمع، والجماعات، وعيادة المريض، وشهود الجنائز، والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، وإن الرجل منكم إذا خرج حاجًّا أو معتمرًا أو مرابطًا حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا لكم أثوابكم، وربينا لكم أولادكم، فما نشارككم في الأجر يا رسول الله؟ فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال: «هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن في مسألتها عن أمر دينها من هذه؟» فقالوا: يا رسول الله، ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا، فالتفت النبي ﷺ إليها، فقال: «انصرفي أيتها المرأة، وأعلمي من خلفك من النساء، أن حسن تبعّل إحداكن لزوجها وطلبها مرضاته، واتباعها

دار الوطن- الرياض، ١٤١٩هـ: ٦/ ٣٢٥٨ وما بعدها.

(١) المصدر السابق: ٦/ ٣٢٥٨ وما بعدها.

وانظر: التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية في المدينة المنورة العلمية: مصدر سابق: ٢/ ١٢٠.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

موافقته تعدل ذلك كله» قال: فأدبرت المرأة وهي تهلل وتكبّر استبشارًا)[١].

فهذا تعبير عن أداء المرأة لما عليها من حقوق بوصفها عضوًا فعالًا في المجتمع، يعرف حدود مسؤوليته، ويؤديها عن علم، وبرغبة في النجاح في هذا الميدان الذي تقتضيه بعثة النبي ﷺ للرجال والنساء معًا، واعتراف صريح بما يتميز به الرجال من مسؤوليات اقتضتها الشريعة أو الشخصية الذكورية أو الرجولية من حيث الخلقة وما يناسبها من أعمال، ثم أردفت في هذا البيان بذكر الهدف من الوفادة وهو الرغبة في الإشراك فيما عند الله تعالى من أجر عظيم، وليتبين للجميع أن للنساء أيضًا أجورًا عظيمة تناسب ما تخصصن فيه من أعمال جليلة، ولولا قيام النساء بهذه الأعمال الجليلة لما تمكن الرجال من أداء تلك الأعمال الجليلة أيضًا، والتي من أجلِّها بعد الإيمان بالله تعالى، الجُمع والجماعات والحج والجهاد، وغير ذلك من الواجبات التي هي غالبًا من شأن الرجال، إلى غير ذلك مما نطقت به هذه الممثلة العاقلة البليغة التي جعلت النبي ﷺ لقوة بيانها وجودة طرحها، يلتفت إلى أصحابه ثم يقول معبرًا عن إعجابه بهذا الإدلاء وعقل صاحبته: «هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن في مسألتها عن أمر دينها من هذه؟»[٢].

فإقرار النبي ﷺ لهذه المرأة على التصريح بوفادتها نائبة عن النساء بمضامين هذا البيان، دليلٌ على أن النبي ﷺ هو أول من فتح للنساء باب التمثيل النيابي في عهده وفيما بعد ذلك، وسواء قصرنا القول بذلك على جنسها من النساء أو عممناه ليشمل

(١) شعب الإيمان للبيهقي: حقوق الأولاد والأهلين: ١١/ ١٧٧، الحديث (٨٣٦٩).
و: معرفة الصحابة: مصدر سابق: ٦/ ٣٢٥٨-٣٢٦٠.

(٢) المصدر السابق.

جميع فئات المجتمع عندما يتم ذلك عن طريق الانتخاب والتصويت، أو يحصل السعي لذلك بسبب مبادرة من المرأة فيقر لها بذلك المجتمع المحلي، أو النقابات المماثلة لها في الحقوق والواجبات.

والمهم أن المرأة بهذا الموقف أصبح لديها حقٌّ شرعي وسياسي في ممارسة العمل النيابي أو البرلماني أو الدخول في الشأن العام الذي يدخل في تدبير شؤون الرعية، أو تكون فيه مطالبة بالحقوق، أو المسؤوليات التي لها طابع سياسي، ويفهم كذلك من وجود صُفَّة أو سقيفة للنساء يجتمعن فيها للعلم والتعليم والخياطة وغير ذلك أن لهن إنشاء المراكز للتعاون على التشارك في الشأن العام، ومن شواهد ذلك إقرار من النبي ﷺ للأعمال الخيرية النسائية ذات الطابع المنظم، كما يشهد لذلك حديث أم صفية خولة قالت: (كنا في عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وصدرًا من خلافة عمر في المسجد نسوة قد تخاللن، -أي: تحابين في الله تعالى- وربما غزلت بعضنا فيه الخوص، فأخرجنا منه عمر...) "[1].

وإخراج عمر رضي الله عنه لهن من هذه السقيفة إنما كان فيما أعتقد لعمل تنظيمي لتوسيع المسجد في عهده بسبب ازدياد المسلمين، وإلا فقد أقرهن صدرًا من خلافته، لذا فيبقى الحكم كما كان في عهد النبي ﷺ وأبي بكر الصديق رضي الله عنه وصدر من خلافة عمر رضي الله عنه، ويتجدد عند توفر المكان ووجود الرغبة التي تبعث على خدمة المجتمع وتربية النشء ومزاولة المهن النافعة والتشاور في شأن المرأة وغيره، واتخاذ ذلك مركزاً سياسيًّا عمليًّا يستمع أهله إلى الأصوات النسائية ويعالج قضايا المرأة من خلال بعث نائبة أو ممثلة لهن أو مجموعة منهن حسب المتطلبات العصرية لكل زمان ومكان.

(١) التراتيب الإدارية: مصدر سابق: ٢/ ٧٩. وانظر: الإصابة: مصدر سابق: ٣/ ٦٠٥.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وقد فهمنا من موقف النبي ﷺ من هذه المرأة أنه ينبغي تشجيع المرأة العاقلة التي تقوم بدور النائبة عن أخواتها في شرح ما يقمن به من أعمال جليلة حتى تكون جليّة للجميع، ويتم تقديرها وتشجيعها من الجميع، وأن يعلن ذلك التشجيع بالوسائل المتاحة، مثل ما فعل النبي ﷺ حيث التفت إلى أصحابه مظهرًا الإعجاب قائلًا لهم: «هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن في مسألتها عن أمر دينها من هذه؟».

فاعتبر ﷺ ذلك منها قوة في الدين والفقه العالي، ثم استمع ﷺ إلى جواب أصحابه لينتظر منهم تشجيعها والثناء على حسن تعبيرها عن واجبات جنسها ومطالبها العادلة، فقالوا: (يا رسول الله، ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا!) فهذا التعبير البليغ من أصحاب النبي ﷺ دليل على أن هذه المرأة فائقة في التعبير عن مقاصدها، علاوة على أنه إقرار من ذلك المجتمع المدني بالفرح بجهودها، في التمثيل النيابي عن نساء زمانها وهو بالتالي رضًا بما تصنعه المرأة العاقلة بهذا الخصوص وعندها: (فالتفت النبي ﷺ إليها، فقال: «انصرفي أيتها المرأة، وأعلمي من خلفك من النساء، أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها مرضاته، واتباعها موافقته تعدل ذلك كله»[(١)]. فهذا الحوار من أنفع ما تقوم به المرأة العاقلة لخدمة أخواتها، لما نتج عنه من تعليم، وتثمين لدورها المجتمعي واهتمامها ببنات جنسها.

المبحث الخامس: حياتها الاجتماعية: زواجها وطلاقها:

النصوص التي تتحدث عن الحياة الاجتماعية لخطيبة النساء ليست مساعدة كثيرًا على تكوين فكرة صالحة للبحث والاقتداء بها، لأنه غلب على شخصيتها كونها

(١) كشف اللثام شرح عمدة الأحكام: محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، تحقيق: نور الدين طالب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – الكويت، دار النوادر – سوريا، ط١، ١٤٢٨هـ: ٣/ ٢٠٦-٢٠٧.

خطيبة للنساء حاضرة البديهة، وممثلة جريئة تتحدث عن شؤون المرأة وهمومها وتعرض رأيها ومطالبها في كل مناسبة حتى شغَل ذلك العلماء عن الحديث عن زواجها وتكوين أسرتها، وهل لها ذرية أم لا؟ ومع ذلك فإننا نجد في الحديث أنها تزوجت على عهد النبي ﷺ وطلقت في حياته ﷺ وكان لطلاقها قصة أفادت النساء بسعيها عن أحكام العدة للمطلقة وما يترتب على ذلك من حقوق وواجبات، وما يعرف به أن للمرأة الحق في البحث عن نيل حريتها والوصول إلى الغاية التي تجنبها تسلط بعض الظلمة من الأزواج، فقد جاء في سنن أبي داوود عن أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية، أنها (طلقت على عهد رسول الله ﷺ، ولم يكن للمطلقة عدّة، فأنزل الله عز وجل حين طلقت أسماء بالعدة للطلاق، فكانت أول من أنزلت فيها العدة للمطلقات)[1]. قال القرطبي في توضيح الأقوال الواردة في خطاب الله تعالى في شأن نزول أحكام العدة للنساء: (قلت: ويدل على صحة هذا القول نزول العدة في أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية. ففي كتاب أبي داود عنها: أنها طلقت على عهد النبي ﷺ، ولم يكن للمطلقة عدة، فأنزل الله تعالى حين طلقت أسماء بالعدة للطلاق، فكانت أول من أنزل فيها العدة للطلاق)[2].

ولا تفيدنا النصوص بمعلومات هنا عن هذا الزوج الذي طلقت منه خطيبة النساء، وهل لها منه ذرية؟، وإن كانت هناك روايات تتحدث عن زوجها باسم أبي سعدة أو أبي سعيد على اختلاف كبير في تحديد اسمه، فقد قال الحافظ ابن حجر وغيره:

(١) سنن أبي داود: كتاب الطلاق: باب في عدة المطلقة: ٢/ ٢٨٥، الحديث (٢٢٨١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية- القاهرة، ١٣٨٤هـ: ١٨/ ١٤٩.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

"وكان أبو سعد زوج أسماء بنت يزيد بن السكن"[١]. ثم إننا لا ندري هل هذه الكنى التي تكنى بها مثل: (أم عامر) (وأم سلمة) عن واقع وأولاد حقيقيين أم هو أمر مألوف عند العرب بإطلاق الكنى على الشخص العظيم عندهم، ولو لم يكن للمكنى ذرية موجودة فعلًا، ثم تطالعنا نصوص أخرى بعد وفاة النبي ﷺ تفيد بزواج أم عامر وهي مع المجاهدين الفاتحين في معركة اليرموك في عهد عمر رضي الله عنه، قال ابن كثير: "وأنها قتلت بعمود خيمتها يوم اليرموك تسعة من الروم ليلة عرسها"[٢].

فهذا العرس الذي لم يذكر فيه الزوج بالاسم ولم يتحدث الرواة عن بقائه واستمراره، ولا عن نتائجه بعد استمرار الفتوحات وبقاء خطيبة النساء في الشام وبدمشق بالتحديد تنشر علمها وتمارس مسؤولياتها يحيّرنا أيضًا ولا نجد تفسيرًا لتجاهل هذه الدراسات الاجتماعية لهذه المرأة العظيمة إلا أن يكون من ضريبة شهرة المرأة بجوانب كبيرة تخطف اهتمام العلماء والرواة عن الحديث في أمورها داخل البيت وعن تكوين الأسرة نفسها.

المبحث السادس: وصفها بالعقل والدين:

وُصفت خطيبة النساء بأوصاف عظيمة تميزت في معظمها عن كثير من النساء، وأول تلك الأوصاف ما تحدث به النبي ﷺ لأصحابه عندما فرغت خطيبة النساء أسماء من إدلائها عن وفادتها عليه ممثلة للنساء في المشرق والمغرب وقوله ﷺ: «هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مساءلتها في أمر دينها من هذه؟»[٣].

(١) الإصابة: مصدر سابق: ٣/ ٣٣٥. و: معرفة الصحابة: مصدر سابق: ٢٠/ ١٧٠.

(٢) البداية والنهاية: مصدر سابق: ١٢/ ١٢٨.

(٣) شعب الإيمان للبيهقي: حقوق الأولاد والأهلين: ١١/ ١٧٧، الحديث (٨٣٦٩).

=

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ثم يلي ذلك الوصف النبوي المشجع لهذه الخطيبة ولجميع بنات جنسها، ما صدر من الصحابة رضوان الله عليهم، من ثناء عظيم على جودة عقلها في جوابهم للنبي ﷺ: (ما ظننا -يا رسول الله- أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا)[١].

وقد تتابع العلماء على وصفها بالمبايعة، والمجاهدة، والناشرة للعلم، والراوية للحديث النبوي، علاوة على كونها من ذوات العقل والدين، وكل هذه الأوسمة تزيد من رصيد أي خطيب أو ممثل للناس في أمورهم العامة، أو الخاصة بفئات معينة كالنساء مثلا، أو غيرهم. قال الإمام المزي في نعتها بالبيعة والرواية: "بايعت رَسُول الله ﷺ وروت عنه أحاديث صالحة"[٢].

ووصفها الحافظ ابن عبد البر بقوله: "أحد نساء بني عبد الأشهل، من المبايعات... وهي مدنية، كانت من ذوات العقل والدين"[٣].

ويقول الإمام الذهبي في السير: "من المبايعات المجاهدات، روت عن النبي ﷺ جملة أحاديث"[٤].

ويصفها الحافظ ابن حجر في الإصابة بقوله: "وكانت تكنى أم سلمة، وكان يقال لها خطيبة النساء، روت عن رسول الله ﷺ عدة أحاديث"[٥].

وانظر: أسد الغابة: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم: تحقيق: علي معوض و: عادل عبد الموجود، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ: ٧/ ١٦-١٨.

(١) المصدر السابق.

(٢) تهذيب الكمال في أسماء الرجال: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، القضاعي الكلبي المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ: ٣٥/ ١٢٨.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، مصدر سابق: ٤/ ١٧٨٧.

(٤) الإصابة: مصدر سابق: ٤/ ٢٣٤-٢٣٥.

(٥) سير أعلام النبلاء: مصدر سابق: ٢/ ٢٩٦- ٢٩٧.

=

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وكان ابن عساكر في تاريخ دمشق أكثر المتحدثين عنها وعن رواياتها ومن روى عنها، لأنه دمشقي وكانت حياتها بعد خروجها مع الفاتحين في عهد عمر رضي الله عنه في دمشق فسكنتها حتى توفيت فيها(١). وقد لخص المتأخرون من علماء التاريخ والأعلام مجمل حياتها وأبرز صفاتها بأسلوب بليغ فقال الزركلي:

"أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية الأوسية ثم الأشهلية: من أخطب نساء العرب ومن ذوات الشجاعة والإقدام، كان يقال لها: خطيبة النساء. وفدت على رسول الله ﷺ في السنة الأولى للهجرة فبايعته وسمعت حديثه، وحضرت وقعة اليرموك (سنة ١٣هـ) فكانت تسقي الظماء، وتضمد جراح الجرحى، واشتدت الحرب فأخذت عمود خيمتها وانغمرت في الصفوف، فصرعت به تسعة من الروم، وتوفيت بعد ذلك بزمن طويل. ولها في البخاري حديثان"(٢).

ويقول عمر رضا كحالة في كتابه (أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام): "محدثة فاضلة، ومجاهدة جليلة، كانت من ذوات العقل والدين والخطابة، حتى لقبوها بخطيبة النساء"(٣).

وبهذا يكون مقصودنا من تتبع هذه النصوص أصبح واضحًا لمن يريد الاطلاع على جوانب حياة خطيبة النساء أسماء بنت يزيد بن السكن رضي الله عنها، وبه يعلم أن متانة

(١) انظر: تاريخ دمشق: ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ: ٢/ ٢٢٨.

(٢) الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، ط١٥، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢ م: ١/ ٣٠٦. ولعله يقصد بالبخاري في الأدب المفرد كما سيأتي إن شاء الله.

(٣) المصدر المذكور: مؤسسة الرسالة، ١/ ٦٦.

الدين وقوة العلم ورزانة العقل من ضروريات الشخص الذي يتصدى للنيابة عن الناس وتمثيلهم في ميادين الحياة العامة السياسية منها والاجتماعية، وعندها يتراجع نجم كل من لا تتوفر فيه هذه الخصال الحميدة، ليفسح المجال أمام من يصلح لذلك، ويتجنب المزاحمة على المواقع التي لم يكن مؤهلًا لها بهذه الامتيازات، وسواء في ذلك الرجال والنساء، حيث نرى بعض المتصدرين للمشاهد النيابية والبرلمانية تغلب عليهم الغوغائية، أو الكسل أو الجهل بالحقوق العامة أو الخاصة، فيقل نفعهم لمن يمثلونهم، أومن يثقون فيهم حتى تضيع الحقوق وتتعطل المصالح.

حياتها العلمية ونشرها للعلم ووفاتها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

قال ابن سعد: "وروت عنه أحاديث"(١). وتحدث الذهبي كما سبق عن حفظها للحديث الشريف وبثها له في دمشق فقال: "روت عن النبي ﷺ جملة أحاديث"(٢).

وكان ابن عساكر أكثر المتحدثين عن جهودها في رواية الحديث ونشر العلم في أهل دمشق، فنقل في معرض حديثه عن شهر بن حوشب أحد الرواة عنها عن الإمام أحمد أنه لما سئل عنه قال: "ما أحسن حديثه ووثقه وهو شامي من أهل حمص. وأظنه قال: هو كندي روى عن أسماء بنت يزيد أحاديث حسانًا"(٣).

وللباحث أن يتساءل عن اختفاء نشاط أسماء بنت يزيد بعد مشاركتها في معركة اليرموك بقتلها تسعة علوج من الروم بعمود فسطاطها، الأمر الذي يدل على قوتها البدنية وشجاعتها القلبية، فهل توارت عن الشأن العام أو توقفت عن الإسهام

(١) سير أعلام النبلاء: مصدر سابق: ٢/ ٢٩٧.
(٢) تاريخ دمشق: مصدر سابق: ٢٣/ ٢٢٣.
(٣) المصدر السابق: ٦٦/ ٣١٩.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

في الجهاد أو مخاطبة الخلفاء الراشدين أو الخلفاء من بعدهم في دمشق التي كانت عاصمة الدولة الإسلامية؟!

لا نملك جوابًا عن هذا السؤال إلا أننا يمكن أن نقول إن كثرة الاضطرابات وظهور الفتن وتعرض بعض المحتسبين للمضايقات يمكن أن يكون وراء إحجامها عن الوقوف في وجه بعض المخالفات الدينية أو السياسية عند بعض الخلفاء الذين عرفت عنهم المخالفات الشرعية، كيزيد بن معاوية، ومن بعده من أمراء بني أمية، ولعل لمن تساهل في التعرض للشأن العام عذرًا، بتغير أحوال المجتمع والتوسع في الترف والماديات، ولدخول بعض المحتسبين في خلافات مع أصحاب الرأي والشأن العام، وربما تغير البيئة والمجتمع الذي درجت فيه وعرفت حوائجه وخصائصه كان وراء اكتفائها بنشر العلم ورواية الحديث على مساحة محددة من مواليها وقراباتها، ومن تعمدوا سماع الحديث منها، ويشهد لذلك مروياتها في السنن والمعاجم والمسانيد، فقد استحسن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أحاديث شهر ابن حوشب الأكثر رواية عنها، حيث أخذت أحاديثها في المسند مساحة كبيرة(١). كما احتلت مروياتها في معاجم الطبراني حيزًا كبيرًا(٢).

فهذا الكم من السنّة النافعة المغطية لمجالات عامة وخاصة لا يعتبر ناقله في تلك الفترة منعزلًا عن الشأن العام، وإن كنا نعتقد أن كثرة الفتن والتنازع على الإمارة وما تجلبه

(١) انظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل: الملحق المستدرك من مسند الأنصار: من حديث أسماء بنت يزيد: ٤٥/ ٥٤١-٥٨٦، الأحاديث (٢٧٥٦٠- ٢٧٦١٤).

(٢) انظر: المعجم الكبير للطبراني: باب الألف: أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية: ٢٤/ ١٥٧-١٨٦، الأحاديث (٤٣٠- ٤٦٩).

من مكاسب سياسية واجتماعية يجعل من الحريصين على سلامة دينهم يكتفون بالتعليم والتوجيه، ويبتعدون أكثر عن مواطن الصراعات والفتن، حيث التنافس على فتات موائد الخلفاء والأمراء، وسيتبين ذلك أكثر في المباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

وفاتها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

قال الذهبي: "سكنَت دمشق، وقبر أم سلمة الذي بمقبرة الباب الصغير هو قبرها، ...عاشت إلى دولة يزيد بن معاوية"(١).

ومعلوم أن المراد بدولة يزيد هو من توليه الخلافة بعد وفاة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان بعد عام ٦٣هـ. قال ابن كثير: "وسكنت دمشق وقبرها بباب الصغير"(٢).

(١) سير أعلام النبلاء: مصدر سابق: ٢/ ٢٩٧.

(٢) البداية والنهاية: مصدر سابق: ١٢/ ١٢٨.

القسم الثاني:
جهود خطيبة النساء في المشاركة في الحياة العامة:

المبحث الأول: خطيبة النساء والتعلم والتعليم:

تعتني المرأة بعد بلوغها بما يهم النساء تحصيله من العلم الذي به تعرف بعد الإيمان ما تصح به عبادتها كالصلاة والصوم، وما يتعلق بالزواج والطلاق والعدد، وقد أثنت أمنا عائشة -رضي الله عنها- على نساء الأنصار اللاتي من أبرزهن (أسماء) بالجراءة في طلب العلم، ولو كان ذلك العلم من المسائل المتعلقة بالشخص نفسه، أو من المسائل والمعارف التي يستحي منها الإنسان، إما لأنها من الأمور المستورة التي يكنى عنها، أو تخجل المرأة عادة والشابة خاصة من التلفظ بها فقالت: عائشة رضي الله عنها: (نعم النساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين)[1].

ومن أدقّ أمور النساء أمور الدماء من حيض ونفاس، لما يلحق المرأة من الخجل عن السؤال عنها، فعن عائشة رضي الله عنها، أن أسماء سألت النبي ﷺ عن غسل المحيض؟ فقال: «تأخذ إحداكن ماءها وسدرتها، فتطهر فتحسن الطهور، ثم تصب على رأسها فتدلكه دلكًا شديدًا حتى تبلغ شؤون رأسها، ثم تصب عليها الماء، ثم تأخذ فرصة ممسكة فتطهر بها» فقالت أسماء: وكيف تطهر بها؟ فقال: «سبحان الله، تطهرين بها» فقالت عائشة: كأنها تخفي ذلك تتبعين أثر الدم، وسألته عن غسل الجنابة؟ فقال: «تأخذ ماء فتطهر فتحسن الطهور أو تبلغ الطهور، ثم تصب على رأسها فتدلكه حتى تبلغ شؤون رأسها، ثم تفيض عليها الماء» فقالت عائشة: نعم

(١) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب الحياء في العلم: (١/ ٣٨).

النساء نساء الأنصار لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين..)[١].

فهذه المرأة السائلة جاء الحديث بأنها: (أسماء)، مبهمة وأنها من الأنصار، وجاءت مذكورة في صحيح مسلم كما في الرواية المذكورة هنا، وأنها "أسماء بنت شكل" وقد أشكل على العلماء هذا الاسم مع وروده في الصحيح؛ فأخذوا يبحثون عن أسماء بنت شكل في الأنصار حتى جزم بعضهم بعدم وجود هذا الاسم في الأنصار، وقال بعضهم إنما هي: "أسماء بنت يزيد بن السكن" سقط من الرواية اسم أبيها يزيد وصحف اسم جدها: السكن، فصار: شكل[٢].

قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم: "قولها: دخلت أسماء بنت شكل: هو شكل بالشين المعجمة والكاف المفتوحين، هذا هو الصحيح المشهور، وحكى صاحب المطالع فيه إسكان الكاف، وذكر الخطيب الحافظ أبو بكر البغدادي في كتابه: الأسماء المبهمة[٣] وغيره من العلماء أن اسم هذه السائلة: أسماء بنت يزيد بن السكن التي يقال لها: خطيبة النساء، وروى الخطيب حديثًا في تسميتها بذلك، والله أعلم"[٤].

قال الخطيب البغدادي: (فعن صفية بنت شيبة عن عائشة: أن أسماء بنت

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الحيض: باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة من مسك في موضع الدم: ١/ ٢٦١، الحديث (٣٣٢).

(٢) الإصابة: مصدر سابق: ٤/ ٢٢٩.

(٣) انظر: الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة: الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت، تحقيق: د. عز الدين السيد، ط٣، مكتبة الخانجي – القاهرة، ١٤١٧هـ: ١/ ٢٨-٢٩، الحديث: (١٥).

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: محيي الدين يحيى بن شرف النووي: ط٢، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٣٩٢هـ: (٤/ ١٦).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

يزيد سألت النبي -ﷺ- عن الغسل من الحيض فقال: «تأخذ سدرتها وماءها فتغسل رأسها، وتدلكه دلكًا شديدًا حتى يبلغ الماء شؤون رأسها، ثم تأخذ فرصة ممسكة فتطهر بها» قالت: كيف أتطهر بها؟ فقال النبي ﷺ -: «سبحان الله العظيم تطهرين»، قالت عائشة تشير إليها: تتبعين آثار الدم)[١].

وبعد أن ذكر الحافظ ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة رأي العلماء المرجحين للقول بأن هذه الأنصارية السائلة عن هذه المسألة الفقهية المهمة في حياة المرأة المسلمة هي: أسماء بنت السكن، قال: "أسماء بنت شكل بمعجمة وآخره لام: ثبت ذكرها في صحيح مسلم في كتاب الحيض من طريق عائشة، وذكر الحديث الذي تقدم ثم قال: وذكرها أبو موسى في الذيل من طريق المستغفري بسنده إلى أبي بكر بن أبي شيبة شيخ مسلم فيه، وقال أبو علي الجياني فيما ذيل به على الاستيعاب: لا أدري أهي إحدى من ذكره أبو عمر أو بعض الرواة وغلط في (شكل)، وإنما هي أسماء بنت يزيد بن السكن الآتي ذكرها، سقط ذكر أبيها، وصحف اسم جدها ونسبت إليه، وسبقه إلى ذلك الخطيب أبو بكر الحافظ، ويؤيده أنه ليس في الأنصار من اسمه شكل، فقد ثبت في صحيح البخاري في هذه القصة أن التي سألت امرأة من الأنصار، وتبعه أبو الفتح ابن سيد الناس على ذلك وفيه نظر"[٢].

على أن الحافظ ابن حجر يقول في فتح الباري[٣]: أن صفية بنت شيبة روت عن

(١) الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة: مصدر سابق: ١/ ٢٩.
وانظر: تهذيب الأسماء واللغات: محيي الدين يحيى بن شرف النووي: دار الفكر، ط١، ١٤١٦هـ: ٢/ ٥٧٥. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: مصدر سابق: ٤/ ١٦.
(٢) الإصابة في تمييز الصحابة: مصدر سابق: (٨/ ١٢).
(٣) المصدر المذكور: ١/ ٢٧٦ و: ١/ ٤١٥.

عائشة رضي الله عنها حديثاً أوله: (أن أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصاري سألت النبي ﷺ عن غسل الحيض؟)[1].

قلت: والواقع أنه يوجد في الأنصار هذا الاسم، وهو: شكل بن حميد العبسي وكان بالمدينة المنورة، ويعدّ من الأنصار بالمعنى الأعم، حيث إنه سكن معهم وصاهرهم كما هو حال ابن عمه حسيل والد حذيفة بن اليمان العبسي، فلو عُلم على وجه التحديد أن له ابنة اسمها أسماء لما كان لأحد من العلماء دعوى أن الأنصار ليس فيهم من اسمه شكل، ولا أن يُبحث كذلك عن سبب لنسبة هذا الحديث لأسماء بنت يزيد بن السكن بدعوى سقوط اسم أبيها من الرواية، وتصحيف اسم جدها ونسبتها إليه كما سبق[2].

ولشكل بن حميد العبسي هذا حديثاً في التعوذ رواه عنه ابنه شتير التابعي الثقة المحدث فقال: (أتيت النبي ﷺ فقلت: يا نبي الله علمني تعويذًا أتعوذ به، فأخذ بيدي، ثم قال: قل: «اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي، ومن شر بصري، وشر لساني، وشر قلبي، وشر منيّي»[3] قال: حتى حفظتها، يعني أن النبي ﷺ كرّر هذا الدعاء عليه وهو واضع يده بين يديه الشريفتين حتى لقّنه إيّاه وحفظه منه[4]، وبهذا البيان نختم هذا المبحث.

---

(١) فتح الباري: مصدر سابق: ١/ ١٢٨، ١٢٩.

(٢) انظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم: مصدر سابق: ٣/ ١٤٩٠، الترجمة: (١٤٤٠). و: الاستيعاب: مصدر سابق: ٢/ ٢٦٧. و: أسد الغابة: مصدر سابق: ٢/ ٥٢٨. و: الإصابة: مصدر سابق: ٢/ ١٥٤.

(٣) سنن أبي داود: كتاب الصلاة: باب في الاستعاذة: ٢/ ٩٢، الحديث (١٥٥١). و: سنن الترمذي: باب في الدعوات: باب الاستعاذة من شر السمع والبصر، ٩/ ٤٦٤، الحديث (٣٥٥٨). وسنن النسائي: كتاب الاستعاذة: الاستعاذة من شر السمع والبصر: ٨/ ٢٥٩، الحديث (٥٤٥٥).

(٤) شرح السنة للبغوي: كتاب الدعوات: باب الاستعاذة: ٥/ ١٦٨-١٦٩، الحديث: (١٣٦٩).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المبحث الثاني: سعيُ خطيبة النساء في أمر عدة النساء، ورفع الظلم عنهن.

قد تحصل بين الأزواج خلافات تتطور إلى مشاكل معقدة ومخاصمات ونزاعات تصل آثارها إلى النفوس والقلوب والأرواح، وحتى يستيقن كل من الزوجين أو أحدهما باستحالة الحياة مع شريكه، لما وقع من النفرة الباطنية واليأس من الحلول المجدية؛ فأباحت الشريعة في مثل هذه الحالة الطلاق مهما ترتب عليه من ضياع للحقوق والواجبات أو نشأ عنه من تشتت للأسرة وإهمال للأطفال.

"إن القلوب إذا تنافر ودّها ◆◆ مثل الزجاجة كسرها لا يجبر"

وقديمًا قالت العرب: إن الرجل إذا تزوج امرأة مقتنعة به، وكان رجلًا يشعر في نفسه برجولته، ولا يستطيع أن يضحي بها جبلة فيه، وكانت المرأة أنثى، بمعنى قبولها لقوامة الرجل، فخضعت له عاشت في ظله سعيدة، ودام بينهما الودّ والرحمة والتكامل، وإذا كانت الزوجة ضعيفة الشخصية قليلة التدبير عديمة الهمة، وتزوجها مثلها من الرجال سكنا في بيت واحد كأنهما أصحاب في مضيعة، فلم يظهر من البيت عزّ ولا شرف ولا شجار ولا مال ولا رفعة.

أما إذا كانت المرأة عزيزة في نفسها جريئة في أمورها وتزوجت رجلًا يعتز برجولته ويذود عن قوامته، وأراد إخضاعها لأوامره، أو إذلالها أمام نزواته الشخصية أو تقدم خطوة إلى المساس بكرامتها، أو تجريح ذاتها فإنهما يتصارعان ويفترقان لا محالة.

ولعل خطيبة النساء: أسماء بنت يزيد بن السكن صادفت في زواجها الأول رجلاً أراد أن يتسلط عليها، أو يهدد كرامتها؛ فوقفت في وجه ذلك بهدوء حتى

تخلصت منه بطلاق، ثم أعلن لها موقفه الذي يريد من خلاله إهانتها وتضييع عمرها لا هي متزوجة ولا هي مطلقة، فلنستمع إلى حديثها في قصتها التي نعتبر موقفها فيها دفاعًا عن حقوق المرأة وتمثيلًا للنساء في السعي لنيل حقوقهنّ من كل رجل متسلط يستغل قوامته أو رجولته أو غطرسته وقوته.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان الناس في عهد الجاهلية قبل نزول حكم العدة يطلّق الرجل امرأته ما شاء أن يطلقها، وهي امرأته إذا ارتجعها وهي في العدة، وإن طلقها مائة مرة أو أكثر حتى قال رجل لامرأته: والله لا أطلقك فتبيني مني، ولا آويك أبدًا، قالت: وكيف ذلك؟ قال: أطلقك، فكلما همت عدتك أن تنقضي راجعتك، فذهبت المرأة حتى دخلت على عائشة فأخبرتها، فسكتت عائشة حتى جاء النبي ﷺ فأخبرته فسكت النبي ﷺ.

فعن أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية، أنها طلقت على عهد رسول الله ﷺ، ولم يكن للمطلقة عدة، فأنزل الله عز وجل حين طلقت أسماء بالعدة للطلاق، فكانت أول من أنزلت فيها العدة للمطلقات، حتى نزل القرآن(١): ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـٔٗا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٢٩ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٢٣٠

(١) سنن أبي داوود: كتاب الطلاق: باب في عدة المطلقة: ٢/ ٢٨٥، الحديث: (٢٢٨١). [وحسنه الألباني].

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ [سورة البقرة].

فبقيام هذه المرأة بالبحث عن رفع هذا الظلم الذي يهددها به زوجها وهو ظلم قديم في الجاهلية، ويريد بعض من يحب التشفي في زوجته أن يستمر عليه في الإسلام الذي من قواعده العدلية: «لا ضرر ولا ضرار»(١) تكون قد مثلت النساء في الدفاع عن أهم حقوقهن التي تدل على تكريمهنّ أو يكن في طائفة المطلقات لهن الحرية في أنفسهن في الزواج من جديد أو التوجه لاهتمامات أخرى حسب رغبتهن، وقد علمنا أن هذه المرأة هي خطيبة النساء التي تقدمت لها علاقات صداقة مع عائشة رضي الله عنها إذ ذكرت أنها قينت عائشة أو شاركت في زفافها وخاطبتها وتحدثت مع رسول الله ﷺ في تلك المناسبة السعيدة، فهي امرأة مقدامة لا تريد أن تسكت على الضيم، وإن كنا قد نفهم من خطاب زوجها لها بهذا التعليق لها أنها هي الراغبة في الطلاق، فعن عمرو بن مهاجر عن أبيه عن عائشة أن بنت يزيد بن السكن الأنصارية من بني عبد الأشهل: (أنها طلقت على عهد رسول الله ﷺ، ولم تكن للمطلقة عدة فأنزل الله عز وجل حين طلقت أسماء عدة للطلاق، فكانت أول من أنزلت فيها العدة للمطلقة)(٢).

(١) رواه في الموطأ عن مالك عن عمرو بن يحيى المازني، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال: «لا ضرر ولا ضرار». موطأ مالك بن أنس: كتاب الأقضية: باب القضاء في المرفق: ٢/ ٧٤٥، الحديث (٣١).

(٢) سنن أبي داوود: كتاب الطلاق: باب في عدة المطلقة: ٢/ ٢٨٥، الحديث: (٢٢٨١). [وحسنه الألباني].

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فلو لم يجد النساء من يمثلهن بهذه الشكوى من هذا التسلط الجاهلي عند السلطات الدينية التشريعية، والمبادرة بإظهار الشكاية من هذا الظلم لاستمر ضرره، وللحقت آثاره كل النساء، وكما مثلت خطيبة النساء، النساء في إظهار هذا الحكم في موطن يظلمن فيه، فإنها تمثلهن في مواطن أخرى ليتهذبن ويتوقفن عن ظلم الأزواج وإنكار معروف المعاشرة.

المبحث الثالث: واجبات الزواج، وحسن العشرة.

المرأة العاقلة تبحث عن العلم الذي يهذّبها ويربيها ويبصرها بما يصلح دينها ودنياها وهي بطبيعتها حساسة سريعة التأثر فطرة وتلحقها التغيرات البدنية التي ينتج عنها فوران العاطفة وهيجان الطبائع المختلفة من عادة شهرية وحمل وولادة، علاوة على ما تشارك فيه الرجل من الأمور الأخرى التي تلحق الإنسان من حزن وهَمّ وغمّ وأمراض وفقر وفقدان المحبوب أو فراقه إلى غير ذلك مما لا بد للإنسان من وجوده في هذه الحياة فلهذه الأمور كلها حسب عليها عدم التركيز والاعتدال في الأحكام.

فمن هنا جاء الإسلام بتعاليم للمرأة موجهًا ومبصرًا ومؤدبًا ومربيًا لعلها بالعلم يزداد تحملها وينمو صبرها، وخصوصًا فيما يتعلق بحسن المعاشرة والاستمرار فيها لما يلحق النفوس عادة من الملل وتراكم الملاحظات وحصول المنفرات من الشريك حتى يكون جائرًا في أحكامه عليه ناكرًا لما سبق من معروف وإنعام.

وفي هذا المقام نجد خطيبة النساء ينقل عنها الرواة أحاديث متعددة وبألفاظ متنوعة يحذر النبي ﷺ فيها النساء من كفران نعم الله عليهن بالأزواج والذرية والمال والحياة السعيدة بسبب موقف أو وضع طارئ أو حال عابر.

ونجد في هذه الأحاديث تمثيلًا رائعًا للنساء من طرف أسماء رضي الله عنها لأنها اشتملت على أمور تدخل في مهام التمثيل النيابي الذي يتطلب معرفة واقع من يسعى المدافع عن مصالحه حتى يكون على بينة تخوله للمطالبة بالحقوق أو تساعده على تحصيل ما يساعد على أداء الواجبات بعد معرفة حدودها.

فعن شهر بن حوشب قال: سمعت أسماء بنت يزيد - إحدى نساء بني عبد الأشهل - تقول: مر بنا رسول الله ﷺ ونحن في نسوة فسلم علينا وقال: «إياكن وكفر المنعمين» فقلنا: يا رسول الله، وما كفر المنعمين؟ قال: «لعل إحداكن أن تطول أيمتها بين أبويها، وتعنس فيرزقها الله عز وجل زوجًا، ويرزقها منه مالًا، وولدًا فتغضب الغضبة فتقول: ما رأيت منه يومًا خيرًا قطّ» وقال: «مرة خيرًا قطّ» (١).

فهذه الأحاديث المربية للزوجة تحتاج إليها كل امرأة ساعية لمصالح دينها ودنياها، وخطيبة النساء بنقلها لهذه المجالس النبوية تفيدنا الأمور الآتية:

١) أنها علم صادر ممن لا ينطق عن الهوى.

٢) أنها وردت من مصدر لا يتهم على المرأة، لأنه هو الذي عرف في حياته العلمية والدعوية والعملية بتقدير المرأة واحترامها، ورد اعتبارها شخصية معتبرة.

٣) أنها جاءت في أسلوب تربوي تعليمي يوحي بالحنان والحرص على المصلحة.

٤) أنها جاءت معللة بشهادات الواقع الذي لا يمكن إنكاره أو تجاهله.

٥) أن خطيبة النساء أسماء رضي الله عنها وجدت في نفسها أن الأمر يحتاج إلى جرأة واستفسار يوضح الأمر للمخصوص بذلك حتى يتضح للناس الأسباب الداعية لهذا

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل: الملحق المستدرك من مسند الأنصار: من حديث أسماء بنت زيد: ٤٥/ ٥٤٢، الحديث: (٢٧٥٦١). [حديث حسن].

التحذير الذي ورد في بعض ألفاظ الأحاديث مكررًا: «إياكنَّ وكفران المنعمين، إياكن وكفران المنعمين...»[1].

ومعلوم أن المطلوب هنا هو ضبط المرأة لأعصابها عند الغضب حتى لا يذهب بها حبّ الانتقام من هذا العشير في حالة أن نزغ الشيطان بينها وبين زوجها إلى إهدار كل المنافع والإحسان الذي تعيش فيه، فتحكم حكمًا جائرًا نافيًا لكل خير.

ولولا أن ذلك ممكنًا؛ أي ضبط النفس عند الغضب؛ لما جاءت الشريعة بالتحذير منه ومن أضراره وآثاره المدمرة لكل العلاقات الأسرية، وموجهة إلى أسباب تجنبه أو التقليل من الخسائر المترتبة عليه، فالشريعة الإسلامية لا تأمر الناس أو تنهاهم عن شيء إلا وهو ممكن أن يتعلم أو يحصل أو يتحقق في واقع الحياة العملية، ولذلك هناك نساء متعلمات متربيات يتعقلن الأمور عند الغضب ويدافعن آثار الغضب بالتحلُّم والتصبر والسكون، واتخاذ الأسباب المعينة على إخماد حرارة جمرة الغضب، الذي يفسد على الناس دينهم ودنياهم والعياذ بالله تعالى، وهذا ما رمت إليه خطيبة النساء أسماء بنقلها هذه الأحاديث.

المبحث الرابع: التحذير من آفات اللسان.

ورد في السنة المطهرة أن النبي ﷺ كان يعِظ النساء ويذكرهن تربية لهن وحرصًا على تبليغ دين الله تعالى الذي يستوي النساء والرجال في الخطاب به، ويطلب من الجميع أداء واجباته والانتهاء عن منهياته.

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل: الملحق المستدرك من مسند الأنصار: من حديث أسماء بنت زيد: ٤٥/ ٥٦٩، الحديث: (٢٧٥٨٩).
و: الأدب المفرد: باب التسليم على النساء: ٣٦٠، الحديث: (١٠٤٧).

وقد طلب النساء من النبي ﷺ أن يخصهن بوقت مناسب لهن يعلمهن فيه مما علمه الله تعالى، وذكرن في مسوغات طلبهن أن الرجال غلبوا على مجلسه، ولم يتمكن النساء من الحضور المباشر مع الرجال إلا في مناسبات عامة كالعيدين ومواسم الحج مثلا(١).

ويتضمن هذا الطلب من النساء استعدادًا لحمل العلم وطلب علو الإسناد بالخطاب المباشر من النبي ﷺ علاوة على ما يأخذنه من أزواجهن أو محالطيهن من الرجال المحارم لهن أو ما يبلغنه نساء النبي ﷺ وقد كانت أعمارهن متفاوتة بحيث تستطيع كل مراحل الأعمار من النساء أن تأخذ العلم من السن المناسبة لعمرها بدون خجل أو استحياء.

وقد مرّ معنا أن خطيبة النساء كانت في عمر عائشة رضي الله عنها، وأن ذلك قد يكون سببًا لجرأتها على توجيه الأسئلة للنبي ﷺ، والمطالبة بالتعليل الشرعي أو بيان الحكمة من بعض المسائل الخاصة بالنساء، ومن المناسبات السعيدة على الأمة الإسلامية عيد الفطر وعيد الأضحى حيث تعم الفرحة والحبور الكبار والصغار والرجال والنساء.

ويطلب من النساء في هذه المناسبات إظهار الفرح والبهجة والمشاركة في مظاهر العيد بالصلاة مع المسلمين في المصليات المخصصة لصلاة العيد، وأن يكون لهن استعداد للمشاركة في واجبات الأمة الدينية والدنيوية، ويشهدن دعوة الإمام

---

(١) انظر: صحيح البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة: باب تعليم النبي ﷺ أمته من الرجال والنساء مما علمه الله، ليس برأي ولا تمثيل: ٩/ ١٠١، الحديث: (٧٣١٠).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند الكلام على الحديث المذكور أعلاه عند باب تعليم النبي ﷺ أمته من الرجال والنساء ممن علمه الله ليس برأي ولا تمثيل "ويحتمل أن تكون أسماء بنت يزيد بن السكن". أي: هي صاحبة الطلب والاقتراح. فتح الباري: مصدر سابق: (١٣/ ٢٩٢-٢٩٣).

وصلاته وخطبته لما في ذلك لهن من المصلحة الدينية والدنيوية المتعدية للغير.

وفي عيد من الأعياد حضر النساء في المصلى وخطب النبي ﷺ بعد صلاة العيد وذكر ووعظ وأمر ونهى، وكأنه شعر بأنه لم يسمع النساء إما لبعدهن من مكان وقوفه أمام الرجال وإما لكثرة أصواتهن، فأخذ بيد بلال وتخطى مجالس الرجال حتى قام قبالة النساء وخصهن بموعظة وتذكير وأمرهن بالمشاركة المالية في أمور المسلمين بالصدقة مما يملكن من مال وحلي وعرض لهن بأن الصدقة سبب لمحو ما يقع منهن من محظورات اللسان كالغيبة والنميمة واللعن وكثرة الشكوى من المعاشر وكفران نعم الله تعالى عند الغضب. فقال ﷺ في تلك المواعظ البليغة التي تحتاجها المرأة المسلمة العاقلة وتستفيد منها: «يا معشر النساء تصدقن فإنكنَّ أكثر أهل النار». فقالت امرأة منهن: ولم ذاك يا رسول الله؟ قال: «لكثرة لَعنِكن»(١). وفي لفظ: «ألم تكن تغشين الشكاة واللعن وتكفرن العشير؟»(٢).

ولما بين ﷺ سبب ما تقدم في الحديث، وأنه من كثرة الدعاء منهن على أنفسهن وأولادهن وأموالهن والدعاء باللعنة على ما يغضبهن، قال:

«وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذوي الألباب وذوي الرأي منكن»(٣) لم تسكت خطيبة النساء عن السؤال طلبا لتعليل ذلك فقالت: «وما نقصان

(١) سنن الترمذي: أبواب الإيمان: باب ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه: ٥/ ١٠، الحديث: (٢٦١٣).

(٢) سنن الدارمي: كتاب الصلاة: أبواب العيدين: باب الحث على الصدقة يوم العيد: ١/ ٤٥٨، الحديث: (١٦١٠).

(٣) سنن الترمذي: أبواب الإيمان: باب ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه: ٥/ ١٠، الحديث: =

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

عقلها ودينها؟» ولم يكن النبي ﷺ يمنع الجواب عن السائل المتعلم أو المتحدث باسم طائفة، أو فئة يريد أن يتعرف لها على واجب أو يطلب لها حقًّا، فقال معللًا لذلك الواقع ببيان أنه ناتج عن أمور خلقية، ولا يلحق النساء به عار، أو نقص في دينهن من حيث الاعتقاد والعمل، وإنما هو أمر كتبه الله على بنات آدم، فقال: «شهادة امرأتين منكن بشهادة رجل، ونقصان دينك الحيضة، فتمكث إحداكن الثلاث والأربع لا تصلي»(١).

وهذا العلم لا يحتاج إلى سؤال آخر لأنه من الأمور المشاهدة والمعلومة والواقعة للمرأة فاكتفت بذلك خطيبة النساء وأقرها جميع الحضور من أخواتها فتوجهن إلى ثوب بلال الذي بسطهُ لتلقي التبرعات، فوضعن فيه أغلى ما تملكه المرأة، أو تدخره، وتحافظ عليه، وهو حليها سواء كان من ذهب أو فضة وغير ذلك من أنواع الزينة، ولكن عندما تؤثر المواعظ الحسنة في المرأة المسلمة وتحرك عاطفتها الإيمانية فإنها تترفع بحسها وذوقها عن الفانية فتندفع بطلب ما عند الله تعالى من جزاء حسن للمتصدقين المتعظين الخاشعين المخلصين وهكذا كان دأب النساء الصالحات في كل زمن و وقت(٢).

قال الحافظ ابن حجر باحثاً عن المرأة التي مثلت النساء في السؤال عن سبب كثرتهن في جهنم: "ولم أقف على تسمية هذه المرأة، إلا أنه يختلج في خاطري أنها أسماء بنت يزيد بن السكن التي تعرف بخطيبة النساء، فإنها روت أصل هذه القصة في حديث

(٢٦١٣).

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر: الواعظ الحثيث بالآية والحديث: د/ محمد الأمسمي، ط١، دار الوطن،١٤٢٠هـ: ٢٦٣ وما بعدها، حيث شرحت الأحاديث الواردة في ذلك هناك.

=

أخرجه البيهقي[١] والطبراني[٢] وغيرهما[٣] من طريق شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد أن رسول الله ﷺ خرج على النساء وأنا معهن فقال: «يا معشر النساء إنكنّ أكثر حطب جهنم». فناديت رسول الله ﷺ وكنت عليه جريئة: لم يا رسول الله؟ قال: «لأنكن تكثرن اللعن وتكفرن العشير»[٤]. فلا يبعد أن تكون هي التي أجابته أولًا بنعم، فإن القصة واحدة، فلعل بعض الرواة ذكر ما لم يذكره الآخر كما في نظائره..."[٥].

ومراد الحافظ في النص السابق: "فلا يبعد أن تكون هي التي أجابته أولا بنعم" أي: في أصل القصة التي فيها تذكير بأخذ البيعة على النساء وتلاوة آية سورة الممتحنة المتضمنة للبيعة، وقول النبي ﷺ لما فرغ من قراءتها أثناء الخطبة: «أنتن على ذلك؟» فقالت امرأة واحدة منهن لم يجبه غيرها: «نعم»[٦]. ثم قال الحافظ: "وفيه دلالة على الاكتفاء في الجواب بنعم وتنزيلها منزلة الإقرار، وأن جواب الواحد عن الجماعة كافٍ إذا لم ينكروا ولم يمنع مانع من إنكارهم"[٧].

وبهذا نعلم أن أسماء قد مثلت النساء في هذا الجمع يوم العيد وأقرها النساء على السؤال والإجابة، وأقرها النبي ﷺ على ذلك وهذا أمر خطير لا يتقدم إلى التمثيل النيابي فيه إلا من قد عرف بالجدارة بالمطالبة بالحقوق والسعي في المصالح، وأعظم

(١) تقدم توثيق هذا.
(٢) تقدم توثيق هذا.
(٣) تقدم بيان ذلك عند الحديث عن المرأة المبهمة هنا.
(٤) تقدم تخريجه.
(٥) فتح الباري: مصدر سابق: ٢/ ٥٤٢.
(٦) نفسه.
(٧) نفسه. وانظر: تاريخ دمشق: مصدر سابق: ٦٩/ ٣٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

مصلحة للمرأة المسلمة أن يوضح لها ما يسعدها في الدنيا والآخرة ويبين لها خلاف ذلك حتى تحذر منه، ومعلوم أن المخاطبات في ذلك المجلس غير مرادات بأن أكثرهن حطب جهنم.

المبحث الخامس: ستر العلاقات الزوجية، وتحريم الافتخار بالجماع.

بنيت العلاقات الزوجية على المودة والرحمة، والحب والحنان، والستر والاحترام، وهذه أمور تقتضي المحافظة والبعد عن أسباب الكشف والانتشار بين الناس، وخصوصًا عند أهل الدين والعقل السليم إذ كل ما يعد من العورات أو المعايب يكون عندهم بدرجة من الصيانة والكناية عنه عند الحاجة إلى ذكر. قال الله تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ [سورة البقرة](١).

وهذا كناية عن الستر وشدة الملابسة والمخالطة وعمق الرابطة، والعاقل لا يتعرض لملابسه التي هي ستر لبدنه وعورته بالعيب أو التشنيع أو يكشفها عما تحتها مما يجب ستره شرعًا ومروءة.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم: مصدر سابق: ١/ ٥١٤ وما بعدها.

=

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ولما كان النبي ﷺ هو المبين عن الله تعالى والله حيي ستير[(١)] أراد النبي ﷺ في هذا الحديث توجيه الرجال والنساء -على حد سواء- في مجلس واحد حتى ينقل عنه الجميع التنفير من كشف الرجل في أحاديثه مع أصحابه ما يكون بينه وبين زوجته من أمور الجماع والوقاع الذي يكون عادة في الخفاء والتستر والبعد عن مسامع الناس وأبصارهم، وكذلك يحذر المرأة السامعة والتي ستسمع من نقل ذلك من حال الستر والتستر إلى حال العلن والكشف والانتشار بين الناس؛ لأن في ذلك مشابهة بالشياطين الآدمية من الفسقة والمتهتكين وأهل الوقاحة والفحش.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ صلى، فلما سلَّم أقبل عليهم بوجهه فقال: «مجالسكم، هل منكم الرجل إذا أتى أهله أغلق بابه وأرخى ستره، ثم يخرج فيحدث، فيقول: فعلت بأهلي كذا وفعلت بأهلي كذا»، فسكتوا فأقبل على النساء، فقال: «هل منكن من تحدث»، فجثت فتاة كعاب على إحدى ركبتيها وتطاولت ليراها رسول الله ﷺ ويسمع كلامها، فقالت: إيْ والله إنهم يتحدثون وإنهن ليتحدثن، فقال: «هل تدرون ما مثل من فعل ذلك، إن مثل من فعل ذلك، مثل شيطان وشيطانة لقي أحدهما بالسكة فقضى حاجته منها والناس ينظرون إليه»[(٢)]. وروى أحمد في المسند عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الشياع حرام»، قال ابن لهيعة: يعني به: الذي يفتخر بالجماع[(٣)].

(١) قال رسول الله ﷺ: «إن الله حيي ستير...». مسند الإمام أحمد بن حنبل: مسند الشاميين: حديث يعلى بن أمية: ٢٩/ ٤٨٤، الحديث: (١٧٩٧٠). [وإسناده حسن].

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل: مسند المكثرين من الصحابة: مسند أبي هريرة رضي الله عنه: ١٦/ ٥٧٤، الحديث: (١٠٩٧٧).

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل: مسند المكثرين من الصحابة: مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: ١٧ / ٣٣٥، =

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وفي رواية: «السباع حرام»[١].

وقال محمد صديق خان: رواه أحمد وأبو يعلي والبيهقي كلهم من طريق دراج عن أبي الهيثم وقد صححها غير واحد، والسباع: بكسر السين المهملة بعدها موحدة هو المشهور وقيل بالشين المعجمة[٢]، ومعلوم أن هذا التمثيل يراد منه التشنيع والتنفير من هذا المسلك الذي كثر في أزمان قلة الدين والعقل والمروءة وكثرة المجاهرين بالمعاصي والذنوب وانتشار عروض الشاشات المرئية لمظاهر الفحش والدعارة الأمر الذي تترتب عليه قلة الحياء من الناس في التعبير عن الأمور التي يسكت عنها أو يكن عنها عند الحاجة كالشكاة والتطبيب وقد قال النبي ﷺ كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى المرأة وتفضي إليه، ثم ينشر سرها»[٣].

فلما سمعت خطيبة النساء سؤال النبي ﷺ للرجال والنساء للزجر عن ارتكاب هذا الأمر الذي يجب ستره في الواقع الشرعي، وفي حال الممارسة، وباللسان وسائر الأحوال بعد ذلك لم تتمالك حتى أجابت النبي ﷺ عن واقع الناس حول الأمر المسؤول عنه، كما في مسند الإمام أحمد عن أسماء بنت يزيد بن السكن: (أنها كانت عند رسول الله ﷺ والرجال والنساء قعود عنده، فقال: «لعل رجلًا يقول

الحديث: (١١٢٣٥). [إسناده ضعيف].

(١) شعب الإيمان للبيهقي: حفظ اللسان عما لا يحتاج إليه: فضل في حفظ المنطق وما فيه من الأدب: ٧/ ١٨٧، الحديث: (٤٨٦١).

(٢) انظر: حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة: محمد صديق حسن خان القنوجي البخاري، تحقيق: د/ مصطفى سعيد الخن، وحي الدين مستو، ط٨، مؤسسة الرسالة، ١٤١٦هـ: ٥٢٠.

(٣) صحيح مسلم: كتاب النكاح: باب تحريم إفشاء سر المرأة: ٣/ ١٠٦٠، الحديث: (١٤٣٧).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ما يفعل بأهله، ولعل امرأةً تخبر بما فعلت مع زوجها» فأرم القوم. (أي: سكتوا) فقلت: أي والله يا رسول الله: إنهن ليقلن، وإنهم ليفعلون) قال: «فلا تفعلوا، فإنما ذلك مثل الشيطان لقي شيطانة في طريق فغشيها والناس ينظرون»(١).

فأسماء هنا مثلت صوت النساء إذ حديث الرجال عنهن في مثل هذه الموضوعات التي أغلقت دونها الأبواب وأرخيت الستور يعدّ من كشف أسرارهم وخصوصًا أنه في الغالب لا يخلو من قصد التفاخر بالجماع أو الرغبة فيه أو وصف الحركات المثيرة للآخر أو يكون في بعض الأحوال من باب السخرية وإعلان عيوب مستورة، وهذا كله مناف للعهد والميثاق الغليظ الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾ [سورة النساء](٢).

فمن الإخلال بالمواثيق نشرها أو الاستهزاء بها أو التلاعب بين الناس بمضامينها.

وقد أقر النبي ﷺ مرافعة أسماء عن النساء في وقف هذا الضرر الذي يلحقهن جراء هذا الكشف، كما أقرها النساء على ذلك الإعلان الذي ترتب عليه صدور النهي الأكيد والتشنيع البليغ من النبي ﷺ عن ارتكاب ذلك من الرجال والنساء على حد سواء.

المبحث السادس: الحلي للنساء والإسراف فيه.

من المعلوم أن نساء هذه الأمة يباح لهن التحلي بالذهب والفضة ولبس الحرير

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل: الملحق المستدرك من مسند الأنصار: من حديث أسماء بنت يزيد: ٤٥/ ٥٦٤، الحديث: (٢٧٥٨٣).

و: المعجم الكبير للطبراني: مسند النساء: باب الألف: ٢٤/ ١٦٢- ١٦٣، الحديث: (٤١٤).

(٢) انظر الموضوع في كتاب: حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة: مصدر سابق: ٥٢٨.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وكل ما فيه زينة لهن وجمال مما يباح شرعًا بدون إسراف ولا تبذير أو تفاخر وتباهي.

ومادام أصل التحمل والتزين والتحلي بالذهب والفضة جائز بالكتاب والسنة والإجماع فإن ما ورد في الأحاديث من التحريج على التحلي بالذهب في صدر الهجرة النبوية يحمل على توجيه الناس إلى الترفع عن متع وملذات زائلة أو متغيرة، والاهتمام بزينة الدين والإيمان الذي تستمر سعادة المرء به في الدنيا والأخرى ولا يكون شعور الإنسان بعظيم نعمة الله عليه بالدين إلا إذا خففت في شعوره ووجدانه المتع الدنيوية الأخرى، لأنه يطلب منه أن يقدم في سبيل الله تعالى الوقت والمال والنفس وهذه أثمن شيء في حياة الإنسان، ولا يمكن أن ينزع منه حبها إلا بإعطائه عوضًا عن ذلك يؤمن به من قرارة نفسه.

قال الله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾﴾ [سورة آل عمران].

ويقول تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة الأعراف].

ويقول تعالى في حق النساء وحالهن في حب الزينة والتزين: ﴿أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الزخرف]، فهذه الأمور المباحة للمرأة في الدنيا يطلب الإسلام منها أن لا تتعلق بها تعلقًا ينافي حب الله وحب رسوله

وتقديم المدخرات والمجوهرات في سبيل مرضاة الله تبارك وتعالى، طلبا للباقية وإيثار لها على الفانية.

إذًا فالمطلوب في السنة المطهرة أن لا يقف في وجه المسلم دون طاعة الله وإيثار ما عنده شيء من متع الدنيا وزخرفها.

وعلى ضوء ذلك نفهم ما يأتي من تمثيل للنقل العلمي والمبادرة إلى التنفيذ والمشاركة من خطيبة النساء.

وقد تقدم لنا أن النساء يوم العيد عندما أثرت فيهنّ موعظة النبي ﷺ وأمره لهن بالتصدق -لأن الصدقة تقي مصارع السوء- والمتصدق تحت ظل صدقته يوم القيامة لم يجدن مالًا أقرب إليهن وأنفس لديهن من حليهن فجعلن يلقين في ثوب بلال أنواع الحلي من الذهب والفضة الموجودة في أيديهن ورقابهن وآذانهن فدلت تلك الأحاديث الصحيحة أن الصحابيات كن يتحلين بأنواع الحلي وأن النبي ﷺ يعلم بذلك، ويقره فتكون أسماء التي نقلت ذلك المشهد المؤثر في بذل الحلي والتنافس في طرحه تصدقًا وجهادًا في سبيل الله تعالى خوفًا من النار التي خاطب النبي ﷺ جنس النساء بأنهن أكثر حطب جهنم عالمة ومستحضرة ما خاطبها النبي ﷺ وخاطب النساء أيضًا في البيعة لهن في المدينة من طرح الحلي أو عدم إظهاره وتخويفه لهن من أن يسورهن الله بكل سوار سوارًا من نار وكل قلادة، قلادة من نار وكل خاتم خاتمًا من النار.

قال أبو نعيم في كتابه: (حلية الأولياء) عند ترجمته لأسماء ضمن المبايعات الزاهدات: "ومنهن أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية: النابذة لما يورث الغرور والفتن"[(١)]، (فعن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت: أتيت النبي ﷺ

(١) المصدر المذكور: دار الكتاب العربي، ط٢، ١٣٨٧هـ: ٢/ ٧٦.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

لأبايعه، فدنوت منه وعلي سواران من ذهب، فبصر بصيصهما. فقال: «ألقي السوارين يا أسماء، أما تخافين أن يسورك الله بسوارين من النار؟» قالت: فألقيتهما، فما أدري من أخذهما)[١]. وفي لفظ آخر: (عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد كانت تخدم النبي ﷺ[٢]) قالت: فبينما أنا عنده إذ جاءته خالتي، قالت: فجعلت تسائله، وعليها سوران من ذهب فقال لها رسول الله ﷺ: «أيسرك أن عليك سوران من نار؟» قالت: قلت: يا خالتي إنما يعني سواريك هذين، قالت: فألقتهما)[٣].

فهذه الأحاديث والمواقف لها احتمالات متعددة وهي كالآتي:

١) أن أسماء وعائلتها كان لهم مال وغنى يتمكن نساؤهم من التحلي بالذهب.

٢) أن هذه الأحاديث فيها تنفير من التحلي بالذهب أو إظهاره للرجال الأجانب.

٣) أن ما اشتملت عليه الأحاديث التي روتها خطيبة النساء في الذهب فيها مع التنفير والتحذير ما أشرتُ إليه سابقًا من إشعار المسلمين الجدد بأن هناك ما هو أغلى وأعز من الذهب والفضة وسائر الأموال وهو طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ والجنة ونعيمها، وأن هناك أعمالًا يترتب عليها العقاب والعذاب وأن هناك نارًا فيها أساور من العذاب وأن اتقاء ذلك لا يكون إلا بالتخفيف من الشهوات والمتع والملذات المحرمة أو المحقرة في حق درجة الرقي الإيماني والترفع على الدنايا والخنايا.

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل: الملحق المستدرك من مسند الأنصار: من حديث أسماء بنت يزيد: ٤٥/ ٥٦٤، الحديث: (٢٧٥٨٣).

(٢) المصدر السابق: ٤٥/ ٥٧٧، الحديث: (٢٧٦٠٢).

(٣) المصدر السابق. وانظر: المعجم الكبير للطبراني: مسند النساء: باب الألف: ٢٤/ ١٦٣- ١٦٤.

٤) وقد تحتمل رواية أسماء لهذه الأحاديث في مطلع الهجرة أنها نسخت بالأحاديث الصحيحة بعد ذلك، فيكون النسخ للتحريم المفهوم من لفظ: «أيسرك أن يجعل الله لك سوارين من جهنم؟»(١).

وتبقى درجة الإباحة مع الترغيب في التنزه عنه أو الإسراف في اتخاذ الحلي بشكل كبير أو كثير. فعن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت: أنا مع النسوة اللاتي أخذ عليهن رسول الله ﷺ، قالت: (وكنت جارية ناهدًا جريئة على مسألته، فقلت: يا رسول الله ابسط يدك حتى أصافحك، فقال: «إني لا أصافح النساء، ولكن آخذ عليهن ما أخذ الله عليهن» قالت: ونظر إلى خالةٍ لي في يدها سواران من ذهب، فأخذ شيئًا من الأرض فرماها به فقال: «أيسرك...» الحديث السابق. قالت: -أي خالتها-: أعوذ بالله، فقال النبي ﷺ: «فإن كنت تعوذت بالله فألقي هذين عنك» فعالجته وأعنتها على ذلك فنبذته فما أدري حتى الساعة من ذهب بهما)(٢).

٥) ويحتمل أن مذهب أسماء وهي في الشام مذهب أبي ذر الغفاري الذي كان يروي الأحاديث التي وردت في مطلع النبوة أو الهجرة لتعالج أمورًا وترغب في أمور أو تحدٍ في المجتمع من أمور تضر بالتربية الإسلامية وهي في بدايتها حيث كان يعير الناس باتخاذ الكنوز وادخار الأموال حتى صدرت عنه أمور أضرت بعلاقته مع الولاة والمجتمع الصاعد في مدارج المدنية والتحضر واتخاذ الأموال والضيعات والقصور حيث فاض المال وحصل الاستقرار المؤدي إلى التفاخر والتباهي بالمال

(١) المعجم الكبير للطبراني: مسند النساء: باب الألف: ٢٤/ ١٦٣- ١٦٤، الحديث: (٤١٧).

(٢) سبق التخريج من مسند الإمام أحمد بن حنبل، والمعجم الكبير للطبراني.

وانظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: كتاب اللباس: باب استعمال الذهب: ٥/ ٢٦٤، الحديث (٨٧٠٢).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

والجاه وما ينجم عن ذلك من مظاهر الترف والخلود إلى الأرض وما فيها الأمر الذي جعله بعض علماء الإسلام من بدايات الانحراف عن خط النبوة ومنهجها في التربية وما كان عليه الخلفاء الراشدون أو على الأقل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

٦) وقد جاء في حديث لأسماء أنها قينت عائشة رضي الله عنها عندما زفت للنبي ﷺ، وغالبًا ما يكون التقيين -أي: التزيين والتجميل- للعروس بما فيه ذهب وفضة[١].

كما أنها روت عن النبي ﷺ في نفس هذه الأحاديث جواز التجمل والتحلي بالفضة حيث قالت: يا نبي الله، إنهن إذا لم يتحلين صلفن عند أزواجهن، فضحك رسول الله ﷺ وقال: «أما تستطيع إحداكن أن تجعل طوقًا من فضة، وجمانة من فضة ثم تخلقه بزعفران، فيكون كأنه من ذهب»[٢].

ففي هذا النص دلالة واضحة على أن التحلي والتجمل مطلبٌ شرعي، وأنه يمكن أن يحصل بالمزيف والمطلي بالصفرة.

٧) على أن الاحتمال باقٍ على التحريم في مثل الإسراف أو التفاخر والتباهي أو التبرج بالزينة وخصوصاً من ذهب وذلك بدليل أن النبي ﷺ إنما بعثه لمثل قوله: «فإن من تحلى وزن عين جرادة من ذهب أو خر بصيصة كوِي بها يوم القيامة» أو قوله في حديثها أيضًا: «أيما امرأة تحلت قلادة من ذهب جعل في عنقها مثلها من النار يوم القيامة، وأيما امرأة جعلت في أذنها خرصًا من ذهب جعل في أذنها مثله يوم القيامة».

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل: الملحق المستدرك من مسند الأنصار: من حديث أسماء بنت يزيد: ٤٥/ ٥٧٠: الحديث (٢٧٥٩١).

(٢) المصدر السابق: ٤٥/ ٥٧٧، الحديث (٢٧٦٠٢).

وقوله لخالة أسماء: «يا هذه هل يسرك أن يحليك الله يوم القيامة من جمر جهنم سوارين وخواتيم»[١] أي أنه ﷺ خاطب من رأى منها وهي في مجلسه للبيعة بريق الذهب حتى قال لأسماء: «لا يصلح من الذهب شيء ولا بصيصه»[٢]. فلو رأت أسماء رضي الله عنها وهي خطيبة النساء وممثلتهن ما يجمعن في حقائبهن الخاصة في هذا الزمن لصح لها أن تروي هذه الأحاديث إنقاذًا لأخواتها من الكنز الذي قال الله تعالى فيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة التوبة].

٨) وقد يكون الخطاب التحذيري الوارد في الآية والأحاديث التي روتها خطيبة النساء هنا خاصة بمن لا تعطي زكاة هذا الحلي وخصوصًا إذا خرج عن الحد الذي يستخدم بحيث يعد مكنوزًا، والكنز حرام موعود عليه بما مر في الكتاب والسنة، ولا يخرجه عن ذلك إلا الزكاة منه بحيث يصل إلى أصحاب الحقوق من الفقراء والمساكين حقوقهم المفروضة في الذهب عندما يبلغ النصاب. وقد جاء عن أسماء رضي الله عنها أنه ﷺ قال لهما: «أتعطيان زكاته؟» قالت: فقلنا: لا، فقال: «أديا زكاته»[٣] فيخرج بذلك وهذه الحالة عن المسموح به من الحلي إلى حكم

(١) المصدر السابق: ٤٥/ ٥٥٣، الحديث (٢٧٥٧٢).
(٢) المصدر السابق: ٤٥/ ٥٤٦، الحديث (٢٧٥٦٤).
(٣) المصدر السابق: ٤٥/ ٥٨٦، الحديث (٢٧٦١٤).

المال الذي تجب فيه الزكاة، فإذا زكّي خرج من حد الكنز لحديث: «كل مال أديت زكاته فليس بكنز»[١].

ونختم هذا المبحث الشائق بحكاية سمعتها من أحد العلماء الأعلام في هذا الزمان إذ قال في محاضرة عامة أن امرأة سألته قائلة: عندي شُوي من الذهب، فهل عليّ فيه زكاة؟ فقال: مثل ماذا؟ أي ما هو مقدار هذا الذهب المصغر بلفظ: (شوي) قالت: يا شيخ نحن عيب عندنا أن نحضر مناسبتين بحلي واحد أو طقم واحد أو لبسة واحدة منذ سنوات وأنا أحضر المناسبات وأخلع اللبسة من الذهب الجديدة وأرميها في الدولاب ونأخذ أخرى جديدة لمناسبة أخرى وهكذا.

فقال لها: كم تقدرين المبلغ المبذول فيه؟ قالت: يمكن أن يكون مليونًا تقريبا. فقال: قلت لها: هذا كنز[٢].

فلتتعظ النساء الكانزات والمتبرجات بالذهب في الأسواق والحفلات العامة، ولتؤدين الزكاة من هذا الكنز ولو بالإعارة والتصدق والتستر عند التحلي به وإلا فقد بلغتها ممثلة النساء وخطيبتهن رضي الله عنهما.

المبحث السابع: مصافحة المرأة للرجال الأجانب وحكم ذلك.

يحتاج من يمثل الناس أن يكون قد حصل علمًا يناسب مقتضى تمثيله للناس بحيث يستطيع المطالبة أو المدافعة أو السعي في المصالح الدينية أو الدنيوية لمن يمثلهم

(١) انظر: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري، تحقيق: بكري حياني، و: صفوة السقا، ط٥، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ، ٦/ ٢٩٤، الحديث (١٥٧٦٤).

(٢) محاضرة في نادي مكة المكرمة، نحو عام ١٤١٦هـ.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بعلم صحيح يمكنه من انتزاع الحقوق بالدليل والبرهان أو حماية الدين والعقول والأعراض مما قد تتعرض له من اغتصاب أو إتلاف أو اعتداء وإذا لم يكن عند من يدعي تمثيل الناس في المحافل أو الهيئات والتجمعات علم مناسب لحال دعواه كان ضرره أكثر من نفعه إذ يتكل الناس على نيابته عنهم في المهمات والضروريات الدينية أو الدنيوية أو الحقوقية حتى تضيع عليهم لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

من هنا كانت خطيبة النساء جادة في تحصيل العلم الذي يساندها عند أداء مهمتها التي رأينا تدرجها في السعي إليها.

ومن أهم ذلك العلم بحدود العلاقة بين الرجال الأجانب والنساء الأجنبيات منهن وأهم شيء في ذلك هو اللمس والمصافحة باليد المعهودة بين النساء مع بعضهن والرجال مع الرجال والرجال مع محارمهن من النساء.

وذلك أن الإسلام أقرّ تلك المصافحات والارتباطات ثم أخذ في سد الأبواب التي يمكن أن تكون مداخل للشيطان للوقوع في المعاصي والذنوب ثم فساد الدين والدنيا بكثرة الانحرافات والفتن، وقد قال ﷺ: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء»[(١)].

ومن سد الأبواب على مرضى القلوب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول على المغيبة والنظر المتبادل بين الأجانب، والأمر بغض البصر عند نظرة الفجاءة والتحذير من محادثة الرجل للمرأة الأجنبية من غير ضرورة[(٢)].

(١) صحيح البخاري: كتاب النكاح: باب ما يتقي من شؤم المرأة: ٧/ ٨، الحديث: (٥٠٩٦).
وانظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: مصدر سابق: ١٧/ ٥٤-٥٥.

(٢) انظر: كتاب المرأة المتبرجة وأثرها السيء على الأمة: د/ عبد الله التليدي: ط٢، دار ابن حزم، ١٤١١هـ، =

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وأولى من ذلك وأشد خطورة مصافحة الرجل للأجنبية حيث يقول ﷺ: «لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له»(١).

وفي حديث آخر: «ولأن يزحم رجل خنزيرًا متلطخًا بطين، أو حمأة خير له من يزحم منكبه منكب امرأة لا تحل له»(٢). فمن هذين اللفظين وغيرهما نأخذ النهي الأكيد والتنفير الشديد من الإقدام على الاختلاط المفضي لتلامس أبدان الرجال الأجانب مع النساء الأجنبيات منهن بقصد أو دون قصد، ومعلوم أن التعبير بمجرد اللمس أو المزاحمة بالمنكب تعطي انطباعًا بعدم اللمس بالأعضاء التي تنقل الإحساس المؤثر في النفوس والقلوب كاليد مثلًا.

ولذلك نقلت لنا خطيبة النساء هدي النبي ﷺ في مصافحة النساء في موطن يمكن أن تكون آكد فيه من أي موطن آخر وهو أخذ البيعة التي اعتاد العرب توثيق المواثيق والعقود والعهود بالمصافحة والضرب على الأيدي إعلاناً على إمضاء الأمر ولزومه فقالت: أنا من النسوة اللاتي أخذ عليهن رسول الله ﷺ، وكنت جارية ناهدًا جريئة على مسألته، فقلت: يا رسول الله: ابسط يدك حتى أصافحك، فقال: «إني لا أصافح النساء، ولكن آخذ عليهن ما أخذ الله عليهن»(٣).

وفي لفظ لها آخر قالت: جمع رسول الله ﷺ نساء المسلمين للبيعة، فقالت له

ص٣٤ وما بعدها.

(١) المعجم الكبير للطبراني: باب الميم: ٢٠/ ٢١١، الحديث (٤٨٦).

(٢) المعجم الكبير للطبراني: باب الصاد: ٨/ ٢٠٥، الحديث (٧٨٣٠).

(٣) المعجم الكبير للطبراني: مسند النساء: أزواج رسول الله ﷺ: باب الألف: ٢٤/ ١٦٣-١٦٤، الحديث (٤١٧). وفيه إشارة لآيات بيعة النساء كما تقدم.

-أي: أسماء-: ألا تحسر لنا عن يدك يا رسول الله؟، فقال لها رسول الله ﷺ: «إني لست أصافح النساء، ولكن آخذ عليهن»(١). وهو المعصوم من إرادة ما يخالف الشرع لا يصافح النساء في وقت البيعة، فإن تعرض الرجال الآخرين لمصافحة النساء الأجنبيات مثير لفتن كثيرة وشرور عظيمة، يشهد لذلك حال المجتمعات التي تساهلت في ذلك(٢).

يقول الدكتور عبد الله التليدي: "المنع من مصافحة النساء ولمس بشرتهن: درءًا للفتنة، وسداً لكل وسائلها حرم الشرع مباشرة المرأة ومصافحتها، فلا يحل للرجل مسّ أي جزء أو عضو من أعضاء المرأة الأجنبية عنه، كما لا يجوز لها هي -أيضاً- أن تمكنه من ذلك، أو تقصد لمسه ومباشرته، من غير عذر شرعي كالعلاج ونحوه، وذلك لأن مس أحد الجنسين للآخر أشد خطرًا من النظرة وغيرها. والذي يسود عصرنا هذا من مصافحة الرجل للمرأة والعكس، من بقايا الجاهلية التي عادت إلى الأمة.

والإسلام كان شديدًا في محاربتها والمنع منها، وقاية للأمة من خطوات الشيطان ووسائل الفاحشة ومحركات الشهوة، وكان هدي الرسول ﷺ عدم مصافحة النساء، وهديه هو المثل الأعلى والقدوة لكل إنسان، في الأخلاق والفضائل والاستقامة"(٣).

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل: الملحق المستدرك من مسند الأنصار: من حديث أسماء بنت يزيد: ٤٥/ ٥٥٣، الحديث: (٢٧٥٧٢).

(٢) انظر: المرأة المتبرجة وأثرها السيء على الأمة، مصدر سابق: ٨٦-٨٧.

(٣) انظر: المصدر السابق.

وخلاصة هذا المبحث ما يأتي:

١) يطلب من الشخص في حال تعرضه للنيابة عن الناس في مطالبهم أن يلم بواقع من يمثلهم، أو ينوب عنهم، حتى يعلم ما يجلب لهم الخير أو يوقعهم في الفتن والشر.

٢) أن الإسلام احتاط في سد الذريعة للمحرمات، فمنع النظر إلى الأجنبية أو الخلوة بها.

٣) أن الإسلام رهب من مسّ الأجنبيات من النساء ونفر من ذلك وعيداً وتمثيلاً.

٤) أن هدي النبي ﷺ هو عدم مصافحة النساء الأجنبيات في أخذ البيعة وغيرها أحرى بالمنع.

٥) أن هدي الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم على ذلك بدليل الثقافة المنتشرة بين الناس عن الدخول على المحارم والمرضعات ومصافحتهن والخلوة بهن وتحريم ذلك في الأجنبيات.

٦) أن البلاد التي تساهلت في ذلك تقليدًا للكفار وشرار أذناب الاستعمار قد اختلطت عليها الأمور في ذلك وغاب عنها الحكم الشرعي وذلك هو عين الزيغ.

٧) أن خطيبة النساء مثلت النساء في استطلاع الحكم الشرعي في مصافحة الرجال الأجانب للنساء الأجنبيات ونقلت لنا ذلك علمًا ثابتًا عن المعصوم ﷺ فعلى من علمت من المسلمات بقيامها ممثلة للنساء وخطيبة لهن أن تأخذ بهذا النقل وتطيع مقتضى ذلك التمثيل.

المبحث الثامن: أجر من ذب عن عرض أخيه.

الغيبة هي تناول اللسان لعورات الآخرين سواء في أديانهم أم أبدانهم أو أقوالهم أو أعمالهم لأنها ذكرك أخاك بما يكره.

والمنشغل بذلك غالبًا ما يكون قاسي القلب فارغ الوقت، يقل حياؤه تدريجيًّا

حتى يتبلد حسه، فينغمس في المجاهرة بهذه المعصية التي تعد من الكبائر لنهي الله تعالى عنها بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢ ﴾ [سورة الحجرات].

وقد جاء التحذير من آفات اللسان في القرآن والسنة قال الله تعالى: ﴿ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ١٨ ﴾ [سورة ق].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦ ﴾ [سورة الإسراء].

وفي الحديث المتفق عليه: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»(١). قال الإمام النووي: "اعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلامًا ظهرت فيه المصلحة، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسنة الإمساك عنه، لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه، وذلك كثير في العادة، والسلامة لا يعدلها شيء"(٢).

(١) صحيح البخاري: كتاب الرقاق: باب حفظ اللسان: ٨/ ١٠٠، الحديث: (٦٤٧٥).
و: صحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب الحث على إكرام الجار والضيف، ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان: ١/ ٦٨، الحديث: (٤٧).

(٢) انظر: رياض الصالحين، محي الدين بن يحيى بن شرف النووي: تحقيق: شعيب الأرنؤوط: ط٣، =

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وغالبًا ما يكون الباعث على الغيبة حسد باطني لا يجد الحاسد مجالًا للتنفيس عنه إلا بمحاولة إظهار معايب محسوده أو الاستهزاء به بشكل من الأشكال، وإذا لم يكن هناك حسد فإنه يبعث على تناول أعراض الناس، علاوة على قلة الدين والحياء من الله تعالى حب الظهور الذي يخيل لصاحبه أنه لا يصل إليه إلا بتنقيص الآخرين والحط من قدرهم حتى يظهر هو بمظهر الطاهر النقي والفرد الصالح للتقديم على الأقران لأن غيره عري عن عيوبهم، وهذا رغم ما فيه من الرضى عن النفس الممقوت شرعًا وعقلًا فإنه لا يتعدى وَهْمَ صاحبه إذ عيوبه قد تكون رابية على عيوب من ينتقصهم ويغتابهم ولو اشتغل بمداواتها ومعالجتها لشغلته عن النظر في عيوب الآخرين، ومن هنا قال النبي ﷺ لأبي ذر -في حديث طويل-: «... ومن حسب كلامه من عمله قلّ كلامه إلا فيما يعنيه...، ليردك عن الناس ما تعرف من نفسك، ولا تجد عليهم فيما تحب، وكفى بك عيبًا أن تعرف من الناس ما تجهل من نفسك أو تجد عليهم فيما تحب»(١).

فلعظم جناية اللسان على الإنسان وتمادي بعض الناس والولوغ في أعراض الناس بالحق أو بالباطل، وضع الإسلام لمن يمثل المسلم في غيبته عند قرض متجن لعرضه مكافأة عظيمة وأجرًا جزيلًا يغري كل مسلم بالدفاع عن أخيه وحماية لحمه من الجناة، وهذا ما قامت ممثلة النساء وخطيبتهن بنقله لنا من مجلس النبي ﷺ فقالت: قال

مؤسسة الرسالة- بيروت، ١٤١٩هـ: ص ٤٢٧.

(١) صحيح ابن حبان: كتاب البر والإحسان، باب الصدق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ٢/ ٧٦، الحديث (٣٦١). وانظر: فتح الباري: مصدر سابق: ١٠/ ٥٣٣. و: حديث أبي ذر وما فيه من الدروس والعبر: محمد بن أحمد الشنقيطي، دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٢هـ: ١٧-١٨.

رسول الله ﷺ: «من ذب عن لحم أخيه بالغيبة كان حقًّا على الله أن يعتقه من النار»(١).

وهذه حصيلة مغرية بممارسة الإنكار على المغتابين العيابين الذين استمرؤوا أكل لحوم إخوانهم أو أخواتهم.

وقد رويت في الغيبة بين النساء أحاديث عديدة بمعرفة ما فيها من صور الزجر والتنفير يتدبر المرء نفسه قبل أن تتمكن هذه الخسيسة من قلبه حتى ينفثها من لسانه حارقًا بذلك دينه وحسناته تاركًا في المجتمع التشقق والتصدع والتقاطع والتدابر والشحناء والبغضاء لأن من أكل لحم أخيه فبلغه ذلك عنه لا يحبه قلبه بعد ذلك وقد يعاقب المغتاب بما هو أشنع مما ذكره عنه فيتسلسل ذلك ويتوارث في المجتمع، وهذا منافٍ لتعاليم الإسلام الذي يحث على التوادّ والتحابب والتراحم ويحرم كل ما ينافي ذلك من الأقوال والأعمال والمعاملات والأخلاقيات والسلوكيات.

وقد قال ﷺ: «أتدرون ما الغيبة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذكرك أخاك بما يكره»، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟، قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته»(٢).

فكأن خطيبة النساء بنقلها لهذا الحديث في الذبّ عن أعراض المسلمين تقول للنساء إذا كانت في كن مغتابات فلتكن من كن محتسبات على أخواتهن لتقل هذه

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل: الملحق المستدرك من مسند الأنصار: من حديث أسماء بنت يزيد: ٤٥/ ٥٨٤: الحديث (٢٧٦١٠). وانظر: شرح السنة للبغوي: كتاب البر والصلة: باب الذب عن المسلمين: ١٣/ ١٠٧، الحديث (٣٥٢٩).

(٢) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب: باب تحريم الغيبة: ٤/ ٢٠٠١، الحديث (٢٥٨٩). وانظر: كتاب قيء المغتاب: أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، ط١، ١٤١٣هـ: ٤٨ وما بعدها.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

العادة الشنيعة بينكن تماشيًا من الإنكار عليهن، وطلبًا لما تضمنه الحديث من العتق من النار(١).

المبحث التاسع: النميمة وأضرارها الدينية والاجتماعية والسياسية.

النميمة: نقل الحديث بين الناس على وجه خبيث يراد به الإفساد، وزرع البغضاء والخصومات بين الإخوان والقرابات أو أرباب المصالح والوظائف أو القادة والرعية.

وغالبًا ما يمارسها أهل الطبائع الدنية والسلوكيات الملتوية أو أصحاب العقول الماكرة والقلوب الفاجرة سعياً للقمة مكتوبة أو مكانة وخطوة مطلوبة.

وهي لنذالة من يمارسها تفسد المودة بين الأحبة وتقطع أواصر الأرحام وتنفر الأصحاب من أصحابهم والرؤساء من مرؤوسيهم، حتى تمتلئ القلوب من الضغائن ولذا قيل إن النمام يفسد في ساعة ما يفسده الساحر في سنة.

فكم انحلت عرى زواج ناجح بسبب وشاية من نمام، وكم تفرقت جماعة متحابة ومتعاونة بسبب فرية أو تشنيع في النقل أو تحريف فيه من آثم نمام.

لذلك جاء في الحديث: «... شرار عباد الله المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الباغون البرآء العنت»(٢).

وهذا لفظ قريب من اللفظ الذي مثلت خطيبة النساء بنات حواء المسلمات

---

(١) انظر: منهج الدعوة في البناء الاجتماعي على ضوء ما جاء في سورة الحجرات: د/ محمد بن محمد الأمين الأنصاري: ط١، مكتبة الأنصار- الرياض، ١٤٠٤هـ: ٤٢٤ وما بعدها.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل: مسند الشاميين: حديث عبد الرحمن بن غنم: ٢٩/ ٥٢١، الحديث: (١٧٩٩٨).

في نقله من مجلس النبي ﷺ حيث روت فقالت: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بخياركم؟» قالوا: بلى، قال: «فخياركم الذين إذا رُؤُوْا، ذُكِر الله تعالى. ألا أخبركم بشراركم؟» قالوا: بلى، قال: «فشراركم المفسدون بين الأحبة المشّاؤون بالنميمة، الباغون البراء العنت» أو: «للبراء العنت»(١).

نعم خيار هذه الأمة رجالًا ونساءً من عرف بطيبة القلب واللسان، وكان مجتنبًا لمجالس السوء التي يكثر فيها القيل والقال والنقل عن فلان وفلانة، واستثارة أسرار الناس وحب التطلع على عوراتهم أو خباياهم أو خفاياهم، من أجل نشرها وإذاعتها أو جعلها سُلّمًا لمصالح دنيوية أو حاجات حيوية.

أما الأشرار من الناس رجالًا أو نساءً فهو مَن عظم شره بنشر الكلام سعاية ووشاية أو تجسسًا أو مخابرة على الناس في حال ثقتهم بمن يتحدثون إليه أو في حالة خلو خواطرهم من وجود الأشرار المغرضين المتعطشين لما يدور بين الناس سلمًا أو حربًا صداقة أو عداوة، ليهرعوا به إلى الآخرين وقد حرفوه أو أضافوا إليه كالكهان الذين يكذبون مع كلمة الحق مائة كذبة تعمية على الناس وإمعانًا في جلب الثقة بهم وهم ليسوا محل ثقة إلا عند من يفرح بقالة السوء من المطلعين لنشر السوء والبغضاء بين الناس متجاهلاً قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣﴾ [سورة القلم]، فمن كانت فيه هذه الخسائس لا يوثق بنقله ولا يوافق على قيله، وكيف قال بعض العلماء: إنه عرف من هذه

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل: الملحق المستدرك من مسند الأنصار: من حديث أسماء بنت يزيد: ٤٥/ ٥٧٦، الحديث: (٢٧٦٠١). و: الأدب المفرد للبخاري: باب النمام: ١١٩، الحديث (٣٢٣).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الأوصاف أن من يمشي بالنميمة بين الناس غالبًا ما يكون ولد زنا -والعياذ بالله-[١].

وإذا عرف ذلك فإنه عهد بين النساء السعي بالكلام خبثًا ومكرًا وخصوصًا بين القرابات أو الضرائر والمصاهرات، وذلك أثره وخيم في الدنيا كما هو مشاهد من إفساد للعلاقات الزوجية أو الجيرة المستمرة أو الأرحام.

فلذلك نقلت لهن ممثلتهن من مجلس النبي ﷺ هذا الحديث الذي قسم الأمة إلى قسمين:

قسم خيار رؤيتهم رحمة وسكينة لما يعلوه من مهابة الإيمان والوقار الذي نشأ عن طاعة الله تعالى، والبعد عن الإضرار بالناس، فالله تعالى يحبهم لما وفقهم إليه من طاعته ولما وضع لهم من القبول في الأرض حتى جعل من رؤيتهم تذكيرًا به جل جلاله، وكفى بذلك واعظًا وزاجرًا، وأما الخلق فإنه يجلهم ويقدرهم لأن الناس سلموا من أذاهم في الأقوال والأعمال.

وأما القسم الثاني: فهم الذين لا يدخلون الجنة لحديث النبي ﷺ: «لا يدخل الجنة قتات» [٢] أي: نمام، وذلك لما يحملونه في قلوبهم من حقد وحسد للمجتمعات التي يعيشون فيها، ولما هم عليه من الإعراض عن منهج الإسلام في تربية الفرد المسلم على أن يكون نافعًا لا ضارًا، ومسالماً لا مشاكسًا، ومتحببًا ومحببًا للناس لا منفرًا، وجامعًا لا مفرقًا.

لذلك كان الناس يبغضون هذا الصنف من الناس لما اشتهر عنهم من نشر

(١) انظر: شرح محمد بن عبد الرحمن الفليسي البسكري على متن الإمام الأخضري، تحقيق: العبد الفقير، ط١، دار الذخائر -الدمام، ١٤٢١هـ: ٥٥.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب بيان غلظ تحريم النميمة: ١/ ١٠١، الحديث (١٠٥).

الوشايات والشائعات والتدخل بالكلام، فيما لا يعنيهم، من أجل وجود بضاعة فاسدة يحملونها للآخرين، من أجل نشر الفرقة والتقاطع أو الريبة والشكوك بين الأهل والأحبة والبراءة من أمة محمد ﷺ، وكأن خطيبة النساء تقول لأخواتها: قد عرفتم الأخيار والأشرار فاخترن لأنفسكن.

المبحث العاشر: التشديد في تحريم الخمر وجهود أسماء في نقل ذلك.

من شأن النائب أن يكون مطلعًا على منافع الأشياء وأضرارها، ذا وعيٍ بما يجلب لمن يمثلهم الخير ويدفع عنهم الشرور ذلك أنه في موقع المحامي المدافع عن حقوق الناس المطالب بما فيه لهم صلاح دينهم ودنياهم، وهذا يتطلب منه تحصيلًا علميًّا وثقافة واقعية لما يدور حوله في كل زمان ومكان، ومن الواجب في حقه أن يكون مواكبًا لعصره متابعًا للمستجدات والتطورات حتى لا يوصف بالجهل لمسؤوليته التي تحملها أمام الله تعالى وأمام المجتمع الذي ائتمنه ووثق فيه حارسًا ساهرًا على مصالحه.

وإن من أخطر ما يقوض المجتمعات هذه الأيام استهدافها في عقول شبابها وهي غافلة أو متساهلة في مكافحة المخدرات والمسكرات وسائر المشمومات والمعسولات التي إن لم تخدر، فإنها تفتر لما فيها من خصائص المثبطات العصبية والذهنية والعقلية، وقد جاءت الشرائع السماوية كلها بالمحافظة على العقول التي هي مناط التكليف وأوعية العلم والعمل وميزان السلوك والأخلاق.

وإن نظر الإسلام لمن وقع في مثل المسكرات والمخدرات، وما يلحقها في المفعول السلبي على الأبدان والعقول أنه ناقص الدين، قليل المروءة، عديم العقل،

فاقد للحياء يغمره السفه في ماله، وأفعاله، وهذا جلي لمن تدبر قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١ ﴾ [سورة المائدة].

فهذا نداء وخطاب تذكيري من الله تعالى للمؤمنين المنتفعين بإيمانهم الذين يدركون قيمة الإيمان وثماره في الدنيا والأخرى، بأن يجتنبوا ما يحول بينهم وبين الفلاح في العاجل والآجل، ويبتعدوا عن استعمال الأمور التي لا يجدون لهم قدوة فيها إلا الشيطان الذي يعلمون أنه عدو لآدم وذريته حيث شرط على نفسه السعي الحثيث في الإضرار حتى يكونوا معه في نار جهنم، فزرع العداوات بين الناس من خلال الترويج لهذه الشهوات المهلكات لابد أن يكون حاضرًا في وعي النائب الذي يمثل الناس في المجالس الشوروية وغيرها من المجالس التي يحتاج الناس فيها إلى من يمثلهم، لأن كل ما يزرع العداوة في المجتمع تجب محاربته بكل الوسائل التشريعية والتنظيمية والأمنية والسياسية.

وكل ما يحول بين الناس وبين الفلاح في مقاصدهم الدينية والدنيوية يجب الوقوف صفًّا واحدًا من أجل صده وإزالته، وأي فلاح يتوقع لمجتمع استشرى فيه شرب الخمور وتعاطي المخدرات والمفترات؟.

وبناءً على ذلك نجد ممثلة النساء وخطيبتهن أم عامر الأشهلية تروي عن النبي ﷺ علما يشدد في شرب الخمر؛ لأنها أم الخبائث ومن كانت أمه حاضرة وظاهرة، فما يتولد عنها من موبقات وشرور، لا شك يكون أيضًا حاضرًا. فعن شهر

بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد، أنها سمعت النبي ﷺ يقول: «من شرب الخمر، لم يرض الله عنه أربعين ليلة، فإن مات، مات كافرًا، وإن تاب، تاب الله عليه، وإن عاد، كان حقًّا على الله أن يسقيه من طينة الخبال»، قالت: قلت: يا رسول الله، وما طينة الخبال؟ قال: «صديد أهل النار»(١).

فالآيات والأحاديث في تحريم الخمر معلومة علمًا ضروريًّا عند عامة المسلمين، ولا نحتاج إلى ذكرها بنصوصها، ولكن يهمنا هنا أن أسماء بنت يزيد بن السكن عندما أعلنت بين يدي النبي ﷺ وبعض أصحابه رضي الله عنهم أنها تمثل النساء كانت على علم بما يجب على من تصدى لتمثيل الناس في المحافل ودوائر الطلب والمدافعة كما كانت تعلم أن المرأة في المجتمع المسلم لها دورٌ كبيرٌ في حماية الناس من شرور المخدرات والمسكرات وسائر السموميات، وأنه في مقدورها إن توفر العلم والوعي والإرادة من صيانه نفسها وزوجها وولدها من اقتراف هذه المهلكات أو الولوغ في سموم هذه المدمرات، لذلك نقلت لأخواتها هذا العلم المشتمل على التنفير الشديد من الخمر وما يقاربه حتى يكون لهن دور في المجتمع تربية وتعليمًا وصيانة ووقاية من معاقرة هذه السموم التي يروج لها أعداء الدين والوطن.

ويتعين الواجب في ذلك على من تشارك في المجالس النيابية والشورى في هذا العصر الذي تكشفت فيه كثير من أساليب الغزو والدعاية والترويج لهذه المحرمات وتنوع أساليب أعداء الداخل والخارج في نشره بين فئات الشباب حتى تفسد أديانهم

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل: الملحق المستدرك من مسند الأنصار: من حديث أسماء بنت يزيد: ٤٥/ ٥٧٨، الحديث: (٢٧٦٠٣). [والحديث صحيح لغيره دون كلمة: «فإن ماتَ ماتَ كافرًا»] وانظره في: المعجم الكبير للطبراني: مسند النساء: باب الألف: ٢٤/ ١٦٨، الحديث: (٤٢٨).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وعقولهم وأبدانهم، فلم يقاوموا أي غزو للأعداء ولم يصلحوا للوقوف في أي موطن يتطلب الرجولة.

والتي من أبسطها رعاية الإنسان لنفسه وبيته وأولاده، وهكذا ما فوق ذلك من حماية الأوطان والذود عن حياض الدين والأمة.

وغالباً ما نرى المرأة تستجيب أكثر للعلم الصادر من جنسها، وتحاول امتثاله أكثر وتطبيقه أدق، وذلك من طبائع النفوس ومداخل الطبائع فالشيء لجنسه أميل ومنجذب إلى مثيله غالباً.

المبحث الحادي عشر: التوجيه في أمر الغيلة:

تعرف الغِيْلة لغةً: بأنها الاسم من الغَيْل بالفتح.

وتعرف اصطلاحًا: بأنها إتيان الرجل زوجته وهي مرضع، وكذلك إذا حملت وهي مرضع.

والشريعة الإسلامية شاملة في أحكامها وتعاليمها ومن ذلك عنايتها بالولد الموجود وهو الرضيع، وبالحمل الذي مازال يتغذى بدم أمه وطعامها، وانطلاقًا من ذلك الاهتمام، فقد قال النبي ﷺ كما في حديث جدامة بنت وهب الأسدية، أنها سمعت رسول ﷺ يقول: «لقد هممت أن أنهى عن الغيلة حتى ذكرت أن الروم وفارس يصنعون ذلك فلا يضر أولادهم» قال مالك: والغيلة أن يمس الرجل امرأته وهي ترضع قال عيسى بن أحمد: "وحدثنا إسحاق بن عيسى قال: حدثني مالك، عن أبي الأسود، نحوه: هذا حديث حسن صحيح"(١).

(١) سنن الترمذي: أبواب الطب: باب ما جاء في الغيلة: ٤/ ٤٠٦، الحديث: (٢٠٧٧). [وصححه الألباني].

فاهتمام النبي ﷺ بالأمر بالنهي عن قتل الأولاد غيلة سواء عني بذلك الرضيع أو الحمل، وأنه ما منعه منه إلا الخوف من إدخال المشقة على الناس في التشريع بأمر يقع من جيران العرب ولا يضرهم ضررًا واضحًا يجعله يعمم التشريع بالنهي عنه، وإن كان ذلك الضرر قد شهدت به الأحاديث الأخرى التي لم تغب عنها خطيبة النساء لشدة عنايتها بالأمور العامة كنائبة عن شطر النساء في عهد النبوة فقد قالت في روايتها لهذه الأحاديث: عن أسماء بنت يزيد قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تقتلوا أولادكم سِرًّا فإن قتل الغيل يدرك الفارس، فيُدَعثِره عن ظهر فرسه»، وفي لفظ لها: قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا تقتلوا أولادكم سِرًّا، فوالذي نفسي بيده إنه ليدرك الفارس، فيدعثره» قال: قلت: ما تعني؟ قال: «الغيلة، يأتي الرجل امرأته وهي ترضع»(١).

وكونه قتل خفي للرضيع واضح، حيث إن الحمل يفسد عليه لبن أمه ويقلله؛ لأنه يتنازعه غذاء الحمل الجديد المستمر من الدم، واللبن كذلك مستمر من الدم فيقع الجوع للرضيع، فيلحقه الضعف، وتتناوبه الأمراض المعروفة كالإسهال والنحافة، فيتأخر نموه عن أقرانه ويلازمه ذلك في عظامه حتى لا يتمكن من تعويض ما افتقده بذلك من القوة، فيقع صريعًا في ميادين الرجولة والقوة والفروسية، وهذه نظرة استراتيجية عسكرية إذ من شأن الأمة رعاية الرضع ووقايتهم مما قد يؤثر مستقبلًا في جوانب تكوينهم وبناء أجسامهم البناء الذي تتحقق به المصالح المستقبلية لهم، كالتطعيمات والسعي للرضاعة الطبيعية لما لها من فوائد بدنية وروحية وما تورثه

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل: الملحق المستدرك من مسند الأنصار: من حديث أسماء بنت يزيد: ٤٥/ ٥٦٦، الحديث: (٢٧٥٨٥). [وإسناده ضعيف].

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

للرضيع من روح الحنان والارتباط بالأم التي لابد من زرع محبتها في وجدانه حتى يستمر ترابط الأسرة وينشأ الأطفال على الحنان والرعاية ثم البر بالأمهات والآباء.

والغالب أن هذه الميادين تهم النساء أساسًا لأنها مرحلة الرضاعة والطفولة لذا اهتمت خطيبة النساء بنقل هذه السنن الملهمة لنوع من التنظيم لا بأس أن يتفق عليه الزوجان بدون إلحاق ضرر بأحد منهما لأن النبي ﷺ إذا همَّ بأمر ومنعه من ذلك أمر آخر فعند زوال ذلك المانع إن كان من الأمور التي تزول فلا بأس بالاقتداء به في إنفاذ ذلك الأمر طلبًا للمصلحة ولو كانت خفية فإنها متحققة باتباع إشارة النبي ﷺ، فإذا قامت ممثلات النساء في المجالس النيابية أو الجمعيات النسوية أو ميادين الإعلام المخصصة لشرعية النساء والأمهات المرضعات بوضع برامج تساعد الأزواج على توقي الحمل أثناء الرضاع ونشر رسائل تنويرية بهذا الخصوص ومتابعة ذلك بدراسات عن الأطفال الذين وقع الحمل عليهم في أثناء الرضاع وآثار ذلك عليهم إلى أن تصل إلى دراسة أوضاعهم حين أدائهم لمهامهم العسكرية والسياسية والرياضية، وغير ذلك من الأعمال التي تتطلب جهدًا قويًّا وتوازنًا في الأداء فإن مردود ذلك على الأمهات وعلى الأمة بعامّة يكون عملًا يشكرن عليه ويعترفن بجودة تمثيل ممثلتهن في العهود النبوية.

ولو قامت بعض النساء الممثلات للنساء في المجالس النيابية وطالبن بحق المرضعة في الرعاية الصحية بما في ذلك عدم وطئها من قبل الزوج إلا باختيارها بحيث لا تكون شرعًا آثمة أو ناشزًا لكان ذلك من الأعمال المفيدة.

ولو درسنا أوضاع فارس والروم من الناحية الجسمية والاقتصادية لوجدنا أن أبدانهم أقوى من أبدان العرب رغم وجود إصابة رجالهم لزوجاتهم، وهن في زمن

الرضاع فيحصل لدينا الفارق بين هذه البيئات فنحكم حكمًا استقرائيًّا أن أسباب ضرر حمل المرضع العربية على ولدها مشاهد إذ يلحقه بذلك ضعف يعثر بسببه، أي: ويسقطه سقوطًا دفعة واحدة من فوق فرسه، أو طائرته، أو دابته، فيتم لنا نشر دعاية تعتمد على هذه السنة المنظمة للعلاقات الزوجية بين الأزواج ويكون ذلك دافعاً اختياريًا بين الزوجين حماية لرضيعهما.

وكل هذه المقترحات صالحة للدراسة من قبل الأطباء والفقهاء.

المبحث الثاني عشر: اشتراك خطيبة النساء في المناسبات الاجتماعية.

من الأمور المطلوبة فيمن يتصدى لتمثيل الناس في مطالبهم ومتطلباتهم أن يكون ذا روح اجتماعية يسعد بمشاركة الناس في أفراحهم وأتراحهم، فإن ذلك مطلب أساسي، علاوة على أنه يساعد النائب البرلماني لاستطلاع أوضاع الناس وتزويده بخبرة عن الأوضاع والأحوال الاجتماعية، بحيث يحصل بالمشاهدة والممارسة العملية على بغيته فتتكون لديه المعلومات بلا واسطة، ويستثمر بذلك مكانته الاجتماعية، واتصالاته الشعبية بمن يمثلهم لصالح عمله المنوط به، ثم إن وجود النائب بين جمهور المواطنين يزيدهم به تعلقًا ومعرفة ويسهل عليهم بذلك إيصال الحاجات والمطالب والشكوى المطروحة أما إذا كان منقطع الصلة بهم وغير معايش لأوضاعهم وغير مشارك لهم في مناسباتهم فإنه لا يمثلهم التمثيل المطلوب بل ربما يطالب بما لا يحتاجون إليه ويهمل ضرورياتهم، وربما ينسب إليه رغباتهم بُرأ منها أو غير ذلك مما هو مشاهد ممن عاش عيشة المترفين على حساب من وصل على أكتافهم وبأصواتهم إلى ذلك المنصب المهم في الأمة ثم أغلق بابه عن الزوار

والأعيان الذين من شأنهم تبصيره بالأمور حتى لا يظل يهرف بما لا يعرف.

ومن تلك المناسبات التي تحدث المشاركة فيها تواصلًا ومحبة في القلوب مناسبات الزواج سواءً كانت للفقراء أو الأغنياء أو الكبار أو الصغار، فإن كل هؤلاء تحدث مشاركتهم في أفراحهم روح المحبة والمودة والتعارف الذي لا يمحى طول الزمن.

ولذلك نجد من اهتمامات ممثلة النساء في عهد النبوة مشاركة البيت النبوي في هذه المناسبة السعيدة وتشاهد وتشارك وتنقل الجو السعيد بما فيه من طرفة بليغة وتعليم نادر فتقول في ذلك النقل الحي لذلك الحدث السعيد على أهله ومن حضره ومن جاء بعدهم: (قينت عائشة لرسول الله ﷺ -أي: شاركت في تزيينها وزفها- ثم جئته، فدعوته لجلوتها -أي: ظهورها بكامل زينتها عروسًا- فجلس إلى جنبها بعس لبن ثم ناولها، فخفقت برأسها، واستحيت، فانتهرتها، وقلت لها: خذي من يد رسول الله ﷺ، فشربت شيئًا، فقال لها رسول الله ﷺ: «أعطي تربك» -أي: زميلاتك- فقلت: يا رسول الله بل خذه فاشرب منه، ثم ناولنيه، فأخذه وشرب منه، ثم ناولنيه.

قالت: فجلست ثم وضعته على ركبتي، ثم طفقت أديره، وأتبعه بشفتي، لأصيب منه مشرب رسول الله -أي: المكان الذي لامسته شفتاه الكريمتان- ثم قال لنسوة عندي: «ناوليهن» فقلن: لا نشتهيه، فقال رسول الله ﷺ: «لا تجمعن جوعًا وكذبًا» [(١)]. -أي: فإن الجوع محقق، فاشربن، ولا تكذبن، وكل واحد من هذين أي الجوع والكذب، لا سكوت عليه فكيف إذا اجتمعا-.

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل: الملحق المستدرك من مسند الأنصار: من حديث أسماء بنت يزيد: ٤٥/ ٥٧٠، الحديث: (٢٧٥٩١).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فهذا تعليم ودعابة من النبي ﷺ لهؤلاء النسوة اللائي حضرن مناسبة زفاف عائشة رضي الله عنها.

فإن الناظر في هذا المجلس يعلم أن هذه النائبة خرجت بمشاركتها في هذه المناسبة بفوائد جمّة مكنتها مستقبلًا من التواصل مع بيت النبوة، حيث تصدر الحقوق وتطلب، وحيث تأتي الأوامر وتنشر فصارت معروفة بشخصيتها وتحملها للمسئولية ومعروفة بجودة الرأي والتنافس في الخير والتأثير على الآخرين وحفظ الأخبار وتبليغها للناس.

فكل امرأة تتصدى لأن تكون نائبة عن جمهور معين، وخصوصًا شريحة النساء، فإن واجبها يتطلب شهودها لأفراح الناس، ومناسباتهن وتفاعلها مع العريس وأهله، ومن يحضر ذلك العرس، والحرص التام على توطيد العلاقات مع الناس لأن هذه بوابة التعارف المثمر.

وتعلم أن من تكبرت على الناس بمنصبها وجاهها أو شهاداتها فانعزلت عن المشاركة الفعالة قلَّ علمها عن الناس وجهلت أوضاعهم وجهلها الناس كذلك، وبالتالي يلحقها القصور في أدائها، والخلل في علاقاتها، بحيث لا تؤثر في الناس، لأنها لا تخدمهم لجهلها بحقوقهم ومصالحهم ونواقصهم.

والناس لا يعرفون إلا من عرفهم، وسلك سبل معرفتهم، وأهمها المشاركة الاجتماعية لهم، في الأفراح والأتراح.

ونجد في الدول التي فيها انتخابات برلمانية لا يفوز بفترة ثانية عادة إلا من كان ينزل إلى الميادين الخدمية أو الاجتماعية، ويسهم في تنمية المجتمع فكريًّا واجتماعيًّا واقتصاديًّا.

أما الذي يفرح بمكانته النيابية ويجعلها مصيدة لجمع المال والتواصل مع الزعماء وأهل الثراء والمال، فليعش بأصواتهم، وعلى موائدهم، وليعلم أنه لا يجد إلا صوتًا مزورًا أو متملقًا معياشًا ينتفع منه وقت الانتفاع، ويتخلى عنه عند الضيق، كما هو مشاهد ممن هذا حاله في عقليته النفعية البرجماتية مع المواطنين وينظر في المعالجات والتدابير والخطوات العملية لمكافحة الفساد أو الظلم أو استغلال السلطة الذي يكون من ضلاله التجاوز على الشعب الذي حمله أمانة النيابة عنه في تحقيق المصالحة، وجلب المنافع ودفع أو رد المفاسد عنه.

فبحكم هذه الأمانة وتلك المسؤولية نجد هذه النائبة في العهد النبوي تحفظ من العلم ما يدخل في نطاق اهتماماتها كنائبة يعنيها الشأن العام الذي يمس المواطنين في ذلك العهد المبارك، وبخاصة المرأة، وذلك بحكم واجب الاهتمام الخاص بأخواتها التي أعلنت أنها وافدة عنهن ونائبة عنهن بتقريرهن ورضاهن في مشارق الأرض ومغاربها.

المبحث الثالث عشر: طاعة ولاة الأمر والمبادرة إلى إكرامهم:

يطلب من الممثل الذي تعتبره الأمة ممثلًا لها في المجالس النيابيِّة أن يكون على جانب كبير من سعة الأفق وسعة الصدر مع تمكنه من الثقافة الأخلاقية والحقوقية بحيث يتمكن من استحضار الحقوق الخاصة والعامة ويؤديها لمن يستحقها بأريحية وإيجابية.

وأعظم الناس حقوقًا في الأمة وأعلاها واجبًا ولاة أمرها إذ تقديرهم وإكرامهم يشعرهم بالمحبة والمودة ويزرع في نفوسهم الروح الإيجابية نحو شعوبهم ومن يقع تحت مسؤوليتهم.

ونصوص الشرع كثيرة في تعليم الناس السمع والطاعة والمحبة والمودة لمن ولّاهم الله أمر الناس(١).

وفي إطار طاعة ولاة الأمر والمبادرة إلى إكرامهم تنقل لنا خطيبة النساء والممثلة لهنّ صورًا من التطبيق العملي لتلك النصوص مع أعظم ولاة المسلمين حقاً على المسلمين وأولاهم بالسمع والطاعة والإكرام بكل أنواع التبجيل والتقدير رسولنا محمد ﷺ؛ إذ تسجّل أن النبي ﷺ صلى في مسجد قومها بني عبد الأشهل صلاة المغرب في ليلة باردة في كساء ملتفاً به، يضع يديه عليه يقيه برد الحصباء(٢).

فنقلها لهذه الصفة يدل على أن النائب لابد أن يكون واعياً لما يجري حوله وخصوصًا عن حكومته ومحيطه النيابي إذ ذكرت أسماء هنا زيارة النبي ﷺ لحيّ قومها ووقت ذلك ووصفت شدة البرد والحال ونقلت نقلًا حيًّا صفة النبي ﷺ ودلائل قوة البرد الذي يفهمنا أن النبي ﷺ جاء لمهمة كبيرة تقتضي الحضور من المهتمين بالشأن العام والقيام بواجب الخدمة والضيافة، وأنها تفاعلت بنفسها مع الحدث. فروى ابن سعد عن أم عامر أسماء بنت يزيد بن السكن قالت: رأيت رسول الله ﷺ صلى في مسجدنا المغرب، فجئت إلى منزلي فجئته بعرق وأرغفة، فقلت: بأبي وأمي تعشَ، فقال لأصحابه: «كلوا بسم الله».

فأكل هو وأصحابه الذين جاؤوا معه، ومن كان حاضراً من أهل الدار،

(١) صحيح ابن خزيمة: كتاب الصلاة: باب إباحة السجود على الثياب اتقاء الحر والبرد: ١/ ٣٣٦، الحديث: (٦٧٦). و: ابن ماجة: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها: باب السجود على الثياب في الحر والبرد: ١/ ٣٢٨، الحديث (١٠٣١).

(٢) المعجم الكبير للطبراني: باب الثاء: ثابت بن الصامت الأنصاري: ٢/ ٧٦، الحديث (١٣٤٤).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فوالذي نفسي بيده لرأيت بعض العرق لم يتعرقه أحد، أي: لم يمسه، وعامة الخبز، وإن القوم أربعون رجلاً (١).

وعلاوة على ما أفهمنا هذا النص من روح المبادرة التي تتحلى بها ممثلة النساء من العناية بوفادة النبي ﷺ كوالٍ عظيم يزور منطقتها النيابية فإنه أوضح لنا دور المرأة في عهد النبوة وحاضريتها الضيافية ومباشرتها لذلك بنفسها وملاحظاتها الإيمانية المعبر عنها بالبركة التي وضعها الله تعالى في الضيافة المقدمة للنبي ﷺ وأنه قال لمن معه من الرجال الذين يعلم أن العادة تحيل أن يعشهم عظم من اللحم وأرغفة يسيرة لولا أن النبي ﷺ قال: «كلوا بسم الله» فحلت البركة التي يكفي مع نزولها في الشيء اليسير منه أو الكثير النامي نماء غير مشاهد إلا من خلال البقية التي تدل أن الأمر خرج بأمر رباني عن الأمور العادية.

وذلك ما لاحظته هذه النائبة المبادرة لإكرام النبي ﷺ فكافأها الله بهذه البركة التي حلت في طعامها فنقلتها هذا النقل وكأنها تقول لمن نطقت باسمهن كممثلة لهن عن النبي ﷺ بادرن إلى المعروف وأشعرن ولاة الأمر في كل زمان ومكان من العلماء والولاة بأهميتهم، ومودتهم وتقديرهم وتسابقن في إكرامهم توضعًا لكن البركة التي إذا حلت في شيء كانت منقبة صالحة يتميز بها ذلك الشخص الذي أكرمه الله بها وربما تعمّ جميع شؤونه.

وقد انبعثت في هذه النائبة روح الاهتمام بعلاقات الولاة ببعض رعاياهم الذين قد يعيشون حالة من المعارضة أو الاعتراض على الواقع المتغير إذ ذكر النبي ﷺ في أحاديث كثيرة ما سيقع في الأمة من الانحراف عن النهج النبوي في الحكم

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: مصدر سابق: ٢/ ١١٠.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

والسياسة، وكانت معالم النبوة تقع شاهدة على صدق خير الوحي بذلك عبر التاريخ قديماً وحديثاً. وكان النبي ﷺ ربما يعالج بعض التوجهات في بعض أصحابه من خلال بيان ما يجب عليهم من مواقف حيال تطور الأحداث السياسية ومن هؤلاء الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري(١)، فروت هذه النائبة ذلك التوجيه النبوي الذي ينبغي أن يستحضره كل نائب برلماني يمثل المجتمع أو شريحة منه قد يوجد من بينها من يرى حمل السلاح في وجه الولاة عند وجود جور أو تجاوز فتقع بسبب ذلك الفتن وتسيل الدماء البريئة ويختل الأمن وتتكدر الحياة ويعظم الخطب ويتفاقم الأمر حتى تخرج الأمور عن طور المعالجة المعقولة والمشروعة - فقالت: (إن أبا ذر -رضي الله عنه- كان يخدم النبي ﷺ، فإذا فرغ من خدمته، آوى إلى المسجد وكان بيته -يعني: المسجد- فدخل النبي ﷺ، فوجده منجدلًا في المسجد، فنكبه رسول الله ﷺ برجله حتى استوى جالساً، فقال: «ألا أراك نائمًا» قال: فأين أنام، هل لي من بيت غيره؟.

فجلس إليه، ثم قال: «كيف إذا أخرجوك منه ؟!» قال: الحق بالشام، فإن الشام أرض الهجرة، وأرض المحشر، وأرض الأنبياء فأكون رجلًا من أهلها.

فقال: «كيف أنت إذا أخرجوك من الشام؟!» قال: أرجع إليه فيكون بيتي ومنزلي قال: «فكيف أنت أخرجوك من الثانية؟» قال: آخذ إذاً سيفي فأقاتل حتى أموت.

قال: فكشر إليه النبي ﷺ وقال: «أدلك على خير من ذلك»، قال: بلى، بأبي وأمي يا رسول الله قال: «تنقاد لهم حيث قادوك، حتى تلقاني وأنت على ذلك»(٢).

(١) انظر: حياة أبي ذر الغفاري في مدخل كتابي: (حديث أبي ذر وما فيه من الدروس والعبر)، مصدر سابق: ٩-١٨.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل: الملحق المستدرك من مسند الأنصار: من حديث أسماء بنت يزيد:

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

حدثت هذه النائبة بهذا العلم المتصل بالسياسة الشرعية التي كان النبي ﷺ يسوس بها أصحابه ويتحرى بها من يخشى عليه الانحراف عنها لشدة في طبعه أو تصور في فهمه أو تسرع في تعامله.

وما تضمنته هذه التربية النبوية وقع لأبي ذر الغفار رضي الله عنه مع أمراء زمانه إذ خرج إلى الشام كالمتبرم من مظاهر الترف وانغماس بعض الناس في المتع لكثرة المال واستقرار الأوضاع في عهد عثمان رضي الله عنه، ونصب له خيمة في جوار مسجد دمشق ثم بدأ يظهر له أن المشاهد التي فرّ منها يزاولها أهل الشام حيث الحضارة القديمة والتمدن والتفنن في المآكل والمشارب والمراكب والمساكن الفارهة فانزعج من ذلك وأخذ في الاعتراض على الأمور التي يراها انطلاقًا من نصوص تحذر الإسراف والتبذير والانهماك في الدنيا جمعًا وكنزًا، فأخذت دعايته في ذلك يصغى لها وتأخذ شكل تأليب على الإمارة الآخذة في أسباب المدنية والتوسع العمراني والرخاء الاقتصادي فكتبت إلى الخليفة طالبة منه استدعاءه للمدينة ليخرج من هذا المحيط الذي قد تؤثر كلماته الناقدة في مجتمعه، وعاد إلى المدنية أيضًا ولكن لم يسكت وضاق به الخليفة ذرعًا بعد اعتذاره له عن إشخاصه من الشام ولم يبق أمامه بعد أن رأى أن المقترح الجديد هو الإخراج إلى منفى جديد لا ساكن فيه ولا حضارة إلى الربذة إلا أن يجرد سيفه للخروج ويقاتل حتى يموت أو يأخذ بالتوجيه النبوي وهو السمع والطاعة والانقياد فانقاد متذكرًا قول النبي ﷺ له: «تنقاد معهم حيث قادوك، وتنساق معهم حيث ساقوك ولو عبداً حبشياً»[1] قائلاً لمن أراد استغلال ظرفه ذلك

٤٥/ ٥٦٨، الحديث: (٢٧٥٨٨). وانظر: المعجم الكبير للطبراني: باب الجيم: جندب بن جنادة أبو ذر الغفاري: ٢/ ١٤٨، الحديث (١٦٢٣). و: سير أعلام النبلاء: مصدر سابق: ٢/ ٦١ وما بعدها.

(١) انظر: سير أعلام النبلاء: مصدر سابق: ٢/ ٦٤. و: الطبقات الكبرى: مصدر سابق: ٤/ ٢٣١.

من المتربصين بالخليفة من أهل الفتنة: (يا أهل الإسلام، لا تعرضوا عليّ ذاكم، ولا تذلوا السلطان فإنه من أذل السلطان فلا توبة له، والله لو صلبني على أطول خشبة أو حبل لسمعت وصبرت، ورأيت أن ذلك خير لي)[1].

ولا شكّ أن نقل النائبة لهذه الحوادث والأحداث السياسية دليل على اهتمامها بالشأن السياسي ومسايرة ما يجب للسلطان من انقياد وسمع وطاعة في المعروف.

وهذا من صميم مسؤولية النواب الذين يبحثون عن مصالح ممثليهم التي أعظمها جمع الكلمة ووحدة الصف والتعاون والتكاتف مع الحكومة العامة أو الخاصة التنفيذية المسيرة للشأن العام أو الخاص لأن الخلاف كلّه شر وظهوره بين الأمراء والعلماء نذير شؤم يختل به الأمن والسلم العام وتحل بسببه الفتن التي تعطل المصالح والمنافع، وتجلب سفك الدماء وذهاب بركة الاقتصاد وترعب البريء وصاحب الفتنة على حد سواء.

وكأن خطيبة النساء بهذه المتابعة والنقل تقول لأمهاتنا علمن أولادكن حقوق السلطان على المسلمين وبادرن إلى إكرام الخلفاء والملوك والسلاطين استجلابًا لما في أيديهم من خير وتعميمًا للمحبة والتقدير بين الراعي والرعية، وانشرن علم ذلك في المجتمع لتعم الفائدة ويتأدب من المتسرعون طبعًا أو طمعًا حتى ينالوا بركة هذا التوجيه النبوي لأبي ذر الغفاري ومن على شاكلته من العلماء والزهاد حتى لا يستغلهم الأشرار في أغراضهم أو يقعوا ضحية ضيق الأفق في العلم والفقه في أمور العامة والخاصة.

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: مصدر سابق: ٤/ ١٧١. تاريخ دمشق: مصدر سابق: ٦٦/ ٢٠١.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وبهذه الجهود العلمية النيابية اعتبرت أسماء بنت يزيد بن السكن من عقلاء الأمة الذين أخذ عنهم العلم في الشام إذ كان أبو ذر الغفاري هناك يتذمر من حال الأمة والإمارة على حد سواء، فلو لم يكن متحصنًا بهذا الحصن السياسي لذهب إلى مسالك الخارجين على السلطان وسجل في عداد أهل الفتنة الذين قتلوا ذي النورين عثمان بن عفان الخليفة الراشد.

وبهذا ندرك عمق تجربة هذه النائبة وإخلاصها.

المبحث الرابع عشر: الزجر عن ظلم الرعية وما يرخص فيه من الكذب.

تواكب النائبة أعمال الحكومة وتتابع الحوادث وتطلع على الشكاوى، وتنقل لنا كيف تصدت تلك الحكومة العادلة إلى صور من التعدي على حقوق الأفراد والجماعات وتحقق بروح الدين والسياسة الرشيدة في الأضرار التي لحقت بالممتلكات الخاصة لأصحاب الدعاوى والشكاوى فقالت: (بعث النبي ﷺ بعثًا إلى ضاحية مضر، فذكروا أنهم نزلوا في أرض ضجر، فإذا برجل في قبة له بفنائه غنم، فجاؤوا حتى وقفوا عليه، فقالوا: احرزنا، فأحرزهم شاة، فطبخوا منها، ثم أخرج إليهم -يعني: زكاة غنمه- فسخطوها، ثم قال: ما بقي في غنمي من شاة لحم إلا شاة ماخض أو فحل، فسطعوا فأخذوا منها شاة، فلما أظهروا واحترقوا وهم في يوم صائف لا ظل معهم، قالوا: غنيمته في مظلته، فقالوا: نحن أحق بالظل من هذه الغنم، فجاؤوا، فقالوا: أخرج عنا غنمك نستظل، فقال: إنكم متى تخرجوها تهلك فتطرح أولادها، وإني رجل قد آمنت بالله وبرسوله، وقد صليت وزكيت، فأخرجوا غنمه، فلم يلبث إلا ساعة من نهار حتى تناعرت فطرحت أولادها، فانطلق سريعًا حتى قدم على النبي ﷺ فأخبره الخبر.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فغضب النبي ﷺ غضبًا شديدًا، ثم قال: «اجلس حتى يرجع القوم»، فلما رجعوا جمع بينهم وبينه، فتواتروا عليه: كذب، كذب.

فسري عن النبي ﷺ حالة الوحي، فلما رأى ذلك الأعرابي قال: أما والله إن الله ليعلم إني لصادق وإنهم لكاذبون، ولعل الله يخبرك يا رسول الله، فوقع في نفس النبي ﷺ أنه صادق، فدعاهم رجلًا، رجلًا، يناشد كل رجل منهم ينشده -يعني: بالله- فلم ينشد رجلًا منهم إلا كما قال الأعرابي فقام النبي ﷺ[(١)] خطيبًا فقال: «يأيها الذين آمنوا ما يحملكم على أن تتابعوا في الكذب كما يتتابع الفراش في النار، كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا ثلاث خصال، رجل كذب على امرأته ليرضيها، أو رجل كذب في خديعة حرب، أو رجل كذب بين امرأين مسلمين يصلح بينهما»[(٢)].

هذه واقعة مؤلمة وقعت من البعض في العهد النبوي ندرك من خلالها أن غير المعصوم عرضة للظلم واستغلال منصبه فيسلط من خلال عمله على من يستطيع استغلال وضعه سواء في ماله أو بدنه أو مصالحه أو أعيان ماله والشرع من ذلك بريء.

كما ندرك من خلالها حرص النبي ﷺ على العدل والإنصاف حيث حذر من كرائم أموال الناس، وأخذها في الزكاة أحرى بتعريض مصالحهم وأموالهم للتلف، وشدة غضب النبي ﷺ من سماع شكوى هذا الأعرابي تدل على براءته من أيّ تجاوز يقع ممن يرسلهم عمالًا ينفذون أعمالًا محدودة لها صلة بالتطبيق العملي لنصوص الكتاب والسنة، والأمر فيها واضح، وكل المواطنين يقرون بذلك ويؤدونه

(١) المعجم الكبير للطبراني: باب الألف: ٢٤/ ١٦٤، الحديث (٤١٩).

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل: الملحق المستدرك من مسند الأنصار: من حديث أسماء بنت يزيد: ٤٥/ ٥٥٠، الحديث: (٢٧٥٧٠).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

طيّبة بها نفوسهم كهذا الرجل الذي ذكر أنه آمن وصلى وزكى فلم يقع عليه الظلم وتعرض مصالحه للتلف.

وإنما سري عن النبي ﷺ الغضب الذي لحقه من شناعة ما سمع لأن هؤلاء المدَّعى عليهم جماعة، والأصل فيهم الأمانة، وليست كل دعوى صادقة وخصوصًا أنهم تواتروا على إنكارها. ولكن بقي احتمال أن تكون هذه الدعوى صادقة بدليل أن النبي ﷺ لم يغلق ملفها وسمح للأعرابي أن يتكلم واستمع إلى كلامه حتى فرغ من إحالة ملف قضيته لعلم الله تعالى الذي لا تخفى عليه خافية، ورسوله ﷺ لا يعلم من الغيب إلا ما عمله، فلما سمع رسول الله ﷺ صدق لهجة صاحب هذه الدعوى قذف الله في قلب نبيه أن احتمال صدقه أكيد وأن استخراج المعلومات من المدعى عليهم ممكنة بطريق ميسور وهو نموذج رائع في التحقيق واستخراج المعلومات من المنكرين إذا كانوا على ديانة وإيمان صادق، فالعقل الجمعي قد يذهب فيه الاختيار الصادق، ويحصل فيه التواطؤ على الكذب والإنكار مجاراة للآخرين ولكن عند الانفراد والمناشدة الصادقة ينزع المسلم من الانغماس في الاثم وخصوصًا في زمن نزول الوحي فلا مهرب من التصريح بالحقيقة وهي المطلوبة فاعترف كل واحد بوقوع ذلك الحيف واستقرت الدعوى لأن الإقرار سيد البراهين والأدلة.

وتنقل هذه النائبة لحيثيات هذه المظالم وما تم فيها من تحقيق ومتابعة لتقول لنا إن من مقتضيات عمل النائب الاطلاع على أمور الناس من حيث يدرك الحقائق ويتمكن من رصد الأحداث ومعرفة المعالجات التي من خلالها ينصف المظلوم ويحارب الظلم والفساد والجور، وأيّ شخص يتعرض لتمثيل الناس في المجالس الشورية أو البرلمانات ولا يكون مؤهلًا علميًّا وثقافيًّا فإنه ينسب إلى الجهل والبلادة

والتغفيل فتضيع بسببه حقوق الناس، وتنتهك حرماتهم وتستغل مقدراتهم لأن من وضعوا فيه ثقتهم ليس على مستوى المسؤولية لقصوره عن مواكبة الأحداث وجهله بمداخل الأمور ومخارجها.

فمن هنا نقدر لهذه النائبة حرصها على هذا العلم النافع للمسؤولين في التعرف على مظالم المواطنين وتبصيرهم بانتهاكات الموظفين، وكيف يتأثرون لمن شكى إليهم وكيف يتصرفون حيال الجحود والإنكار الذي يضلّل العدالة ويطمس الحقيقة ويسهل استمرار الفساد والإفساد حتى تتفاقم الأمور ويعم الجور وتذهب الأمانة وتحل محلها الخيانة والتخوين وقلة الثقة في المسؤولين، وهكذا فمن إخلال هذه المرافعات علمت النساء والرجال بأن الظلم واقع وأن طرق إزالته عديدة وأن علم المسئول وثقته بقيمة العدل ورفع الظلم هي مفتاح الإنصاف.

المبحث الخامس عشر: عناية خطية النساء بالجوانب الاقتصادية المتصلة بالسلوك العام.

للنخب وما يجب أن يكون عليه حالهم في الأوضاع المعيشية ليقتدى بهم من هدي النبي ﷺ التواضع في المأكل والمشرب والملبس والمسكن والتعامل مع المسلمين برفق ولين، وقد تمثل أصحابه هذا الهدي ونقلوه للناس لما فيه من اتفاق مع بساطة الفطرة وتجنب التكاليف التي ينجم عنها الانغماس في الفضول التي تضر بالصحة البدنية والنفسية وتدخل في ميادين الإسراف أو البذخ أو الترف أو التبذير وهذه خصال نهى الله عنها في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، والتطبيق العملي يشهد أن رسول الله ﷺ كان أبعد الناس عن هذه الخصال المكروهة حيث تروي أسماء بنت يزيد بن السكن خطيبة النساء وممثلتهن في مجلس النبي ﷺ أنه ﷺ توفي يوم توفي؛ ودرعه

مرهونة عند رجل من اليهود بوسق من شعير، وكان له ﷺ مغفر -وهو ما يلبسه الدارع على رأسه من الزرد وغيره-، يقال له: السبوغ، أو: ذو السبوغ بالسين المهملة ثم باء موحدة، ثم واو وغين معجمة، وآخر يسمى: الموشح وبيضة(١).

وقد تحدثت هذه النائبة وغيرها من الصحابة عن هدي النبي ﷺ بمثل هذا النقل الذي يرشد إلى التأسي به في التقشف والزهد والبعد عن التكلف.

وكان من مقاصد إظهار ذلك ونشره أن يعلم الناس من خلال من يقتدي به أن الدنيا بمظاهرها ووسائلها المغرية ومتعها ليست مقصدًا ولا هدفًا من الوجود وأن خطوها زائلة يكفي منها قدر الحاجة الضرورية.

وأن خير خلق الله محمد رسول الله ﷺ كانت هذه المذكورات هي أدواته في الحرب وقد نصره الله على دول كبرى تملك الأسلحة الكثيرة والفيلة والأموال التي أغمستها في التعرف المفسد للطبع والصحة(٢).

وعندما يعايش النواب الذين يمثلون الشعوب وينظر الناس إليهم بأنهم نخب يقتدى بهم في هذه الروح المكتفية بالميسور والموجود يتأثر الشعب بترفعهم عن كثير من المغريات والماديات التي يتصارع المتصارعون حولها جمعًا لحطام الدنيا من الحلال أو من الحرام واستماتة في اللعب من الشهوات وإشباعًا للنزوات

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل: الملحق المستدرك من مسند الأنصار: من حديث أسماء بنت يزيد: ٤٥/ ٥٦٧، الحديث: (٢٧٥٨٧). وأيضًا في: مسند المكثرين من الصحابة رضي الله عنهم، مسند أنس بن مالك رضي الله عنه: ٢٠/ ٢٢١، الحديث: (١٢٨٥٢). و: سنن ابن ماجه: كتاب الرهون: ٢/ ٨١٤، الحديث: (٢٤٣٨). و: دلائل النبوة للبيهقي: جماع أبواب مرض رسول الله ووفاته وما ظهر في ذلك من آثار النبوة، ودلالات الصدق: باب ما جاء في تركة رسول الله ﷺ: ٧/ ٢٧٤.

(٢) انظر: سيد الدعاة: حسن محمد يوسف، ط١، دار الإنسان، ١٣٩٩هـ: ١٧١-١٧٥.

واستمتاعًا بالملذات المفسدة للبدن والصحة النفسية والعقلية والسمعة الاجتماعية.

وعندما يعلم ممثلات النساء خاصة أن هذه النائبة التي مثلتهن في مجلس النبي ﷺ واقتربت منه لتكتمل لها صورة حياته الخاصة والعامة لتتحلى ولتنقلها لهنّ علمن أنه لا معنى لتنافسهنّ في الزينة الزائدة عن المعقول والموجود وخصوصاً أن بعض المثقفات في هذا العصر اتخذن أهل الغنى والإسراف والتفاخر والتباهي قدوتهنّ فأرهقن بذلك أزواجهن وأسرهن، فيتابعن (الموضات) في جميع المستجدات والمخترعات والمصنوعات ابتداءً من الأقمشة والأحذية وانتهاءً بالحلي والمجوهرات ثم الأجهزة الذكية وسائر الإلكترونيات التي تتجدد في الأسبوع والأثاث والفرش والمساكن والمراكب.

فهذه من موجات التقليد الأعمى التي تستخف عقول الناس وتستنزف مقدراتهم المادية وإمكانياتهم الاقتصادية فيخرجون بذلك عن الحدود الشرعية إلى المحرمات الشرعية أو ما يؤدي إلى ذلك.

والذي يمكن أن يقف في وجه ذلك هو القدوات النسوية العاقلة المتعلمة الرزينة التي تنشد الاقتداء بالنبي ﷺ وأمهات المؤمنين والمجتمع الإسلامي الفاضل الذي تعبر عنه المرأة المسلمة من خلال تمثلها وتمثيلها للثقافة الإسلامية المعتدلة في جميع الجوانب الدينية والدنيوية.

ولعل هذا ما قصدت إليه النائبة النسائية أسماء بنت يزيد بن السكن خطيبة النساء عندما تتحدث لهن عن واقع حياة رسول الله ﷺ وتصف ذلك كله حتى تصف كيف كان كُمُّ قميص رسول الله ﷺ وأنه كان إلى: (الرصغ أو الرسغ)[1].

(١) انظر: سنن الترمذي: أبواب اللباس: باب ما جاء في القمص: ٤/ ٢٣٨، الحديث (١٧٦٥).
سنن أبي داود: كتاب اللباس: باب ما جاء في القميص: ٤/ ٤٣، الحديث (٤٠٢٧).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المبحث السادس عشر: عناية خطيبة النساء بالمشاريع الخيرية.

يعتبر المسلم أن كل الجهود التي يعمّ نفعها ويتعدى إلى الآخرين هي من أعظم العبادات وأهم القربات.

فإذا كان هذا المسلم من النخب التي يتوجه الناس إليها في مصالحهم العامة والخاصة وجب عليه العناية الزائدة بما يحصل ذلك وما يترتب عليه علمًا وعملًا.

وأنفع عمل خيري للمسلمين هو تأسيس المساجد التي أمر الله بتعميرها بالبناء والصلاة وطلب العلم وغير ذلك.

وكان القدوة في ذلك رسول الله ﷺ إذ كان أول أعماله في المدينة تأسيس مسجد قباء والمسجد النبوي حيث انطلقت منهما ابتداءً في المدينة المنورة رسالة المسجد المعروفة في الشريعة الإسلامية من إقامة الصلوات الخمس واتخاذها مجالس علم وتعليم وتربية وتكوين للأمة والدولة الناشئة وعقد اللقاءات الأخوية وعقد الأولوية للبعوث والسرايا والغزوات ثم استقبال الوفود الممثلة للقبائل والمناطق المعلنة للدخول في هذا الدين، وقد انتشرت في المدينة النبوية مساجد الأحياء والقبائل وضواحي المدينة وأخذ المسلمون في مختلف مناطقهم في الجزيرة العربية أوامر من النبي ﷺ بتأسيس المساجد والعناية بها والقيام بواجب رعايتها من وجود المؤذنين والأئمة والنظافة والطهارة ثم توالت الأحاديث المرغبة في التبرع ببناء المساجد والمبينة لعظيم الثواب والأجر في ذلك واعتبار وجود المساجد والأذان دليلًا على وجود المسلمين الذين أمر المجاهدون بحقن دمائهم وأموالهم لإعلانهم الشعار الإسلامي

وانظر: صفة ثوب رسول الله ﷺ: عبد الله بن وادة، تحقيق: محمد الداه أحمد، ط١، ١٤١٤هـ- الإمارات.

المميز لهم عن أهل الجاهلية.

وتناقل المسلمون عبر التاريخ هذا العمل الخيري لشدة الحاجة إليه وتنافس الفاتحون في المبادرة إلى إنشاء المساجد في البلاد المفتوحة والقيام برسالتها السامية التي يتخرج منها العلماء والدعاة والمجاهدون والعبّاد والزُهّاد الربانيون كما يتكون فيها القادة العسكريون والخلفاء والوزراء والممثلون(١).

فمن هنا كانت عناية ممثلة النساء بنقل الترغيب في هذه المشاريع الطوعية لأنها من النخب التي يهمها الشأن العام والمساجد تبنى للرجال والنساء إذ كان النساء ومازلن يرتدن المساجد للصلاة والتعلم والتعبد والتربية والتكوين وكانت المرأة تعنى بنظافة المسجد وتقمّه تطوعًا ورجاء ثواب الله تعالى وقد أعطاها ذلك مكانة دينية كبيرة كم كان للنساء مجالس علم وتخالل فيما بينهنّ في المسجد النبوي وغيره، ومن النساء اللائي كن يحرصن على ارتياد المساجد والعناية بها هذه النائبة التي نقلت من في النبي ﷺ قوله: «من بنى لله مسجدًا بنى الله له بيتًا في الجنة»(٢).

وفي لفظ آخر عند أحمد: «فإن الله يبني له بيتاً أوسع منه في الجنة»(٣).

(١) انظر: أحكام المساجد في الإسلام: د/ محمود بن حسين حريري، ط١، دار الرفاعي، ١٤١١هـ: ١٧ وما بعدها.

(٢) المعجم الأوسط للطبراني: باب الميم: ما اسمه معاذ: ٨/ ٢٢١، الحديث (٨٤٥٩).
و: المعجم الكبير للطبراني: باب الألف: ٢٤/ ١٨٥، الحديث (٤٦٨).

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل: الملحق المستدرك من مسند الأنصار: من حديث أسماء بنت يزيد: ٤٥/ ٥٨٥، الحديث: (٢٧٦١٢). وقال الهيثمي: رجاله موثقون. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: كتاب الصلاة: باب بناء المساجد: ٢/ ٨، الحديث (١٩٤٧).

=

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فالنائبة عندما تظهر هذا العلم المتعلق بأهم أمور الناس الدينية والدنيوية فإنما تؤدي لمن تمثلهنّ أمانة يتحملنها في خدمة المجتمع المسلم وترشحهنّ لمهمة بناء المساجد رغبةً فيما عند الله تعالى وتنافسًا مع الرجال الأخيار الأثرياء في اكتساب الأجر العظيم إذ الدين للرجال والنساء على حد سواء وتيسير وسائل العبادة والطاعة والعلم من أقدم واجبات النخب السياسية الواعية لمهام الدين والدنيا وكثيرًا ما نقرأ في تاريخ الإسلام عن نساء فضليات مسبلات ومنفقات يعمرن المساجد بتلاد أموالهن ويجرين عليها النفقات والأوقاف التي تضمن استمرار صيانتها وحسن رعايتها.

وفي هذا العصر عندما تقلص دور المرأة بأسباب كثيرة تراجع اهتمام النساء في تعمير المساجد وظهر ذلك في قلة المتبرعات بالبناء والأوقاف إما اتكالًا على الحكومات والمؤسسات الخيرية أو الأوقاف الإسلامية التي تعثرت هي الأخرى كثيراً في عدد من البلاد.

وإما لبعد بعضهن عن الوعي المطلوب في هذا العمل الخيري النافع للجميع، والموعود عليه ببيت في الجنة.

وإذ نذكّر بجهود ممثلة النساء في مجلس النبي ﷺ من خلال نقل هذا العلم الدال على الاهتمام بالشأن الإسلامي العام، فإنما نريد بذلك بعث هذه الروح في نخبنا النسائية والممثلات البرلمانيات في المجالس النيابية المعاصرة لإحياء دور المرأة في هذه المشاريع الخيرية.

وانظر: كنز العمال: حرف الصاد: كتاب الصلاة: الباب الخامس في صلاة الجماعة وما يتعلق بها: ٧/ ٦٥٤، الحديث (٢٠٧٦١).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المبحث السابع عشر: القرآن الكريم واهتمامات خطيبة النساء.

القرآن الكريم كتاب علم وهداية، وعمل مثمر لما يصلح الدنيا والأخرى، ومن أعظم الكتب التي قامت بها الحضارات الإسلامية المتعاقبة، وقد حث النبي ﷺ على التمسك به والاهتداء بهديه، واتباع أوامره واجتناب نواهيه، لأنه حبل الله المتين، وسراجه المبين، به يعرف الإيمان الحق، والعمل الصالح، والعلم النافع، وبه يكون العدل والإنصاف وإعطاء كل ذي حق حقه، وبه يميز الخير من الشر، والنافع من الضار، وبه يرفع الله أقوامًا ويضع به آخرين، كما شهدت السنة المطهرة بذلك وصدقه الواقع عبر التاريخ، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يتشوفون لنزوله على رسول الله ﷺ فيتلقفونه من فِيه الطاهر، ويتلقون منه معارفه وأنواره، سواء في ذلك الرجال والنساء، وشهدت عائشة أم المؤمنين لنساء الأنصار بحبهم للعلم الذي أصله ورأسه القرآن الكريم، وكانت خطيبة النساء من أحرص نساء الأنصار على العلم والمبادرة للسؤال عنه، لذا نجدها في مناسبات عديدة تكون سببًا بسؤالها العلمي لنزول قرآن يتلى، كما سبق في العدة للنساء ونحوها، ويمكننا أن نتناول ما تولت خطيبة النساء نقله لعامة المسلمين من تفسير القرآن وفوائده الدينية والدنيوية فيما يأتي:

١) قوله تعالى تسلية لنبيه نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في شأن غرق ابنه: عن شهر بن حوشب، عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن رسول الله ﷺ قرأها: ﴿ إِنَّهُۥ عَمِلَ غَيْرَ صَٰلِحٍ ﴾ [سورة هود: ٤٦][(١)]. ولا شك أن في هذا النقل عبرة عظيمة للمسلم الذي يصاب بعقوق

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل: الملحق المستدرك من مسند الأنصار: من حديث أسماء بنت يزيد: ٤٤/ ١٣٦، الحديث: (٢٦٥١٨).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الولد ومخالفته للهدى والحق، كما أنه يتضمن العلم بأن الله يفعل ما يشاء لا يحابي أحدًا من خلقه، مهما كان نبيًّا مقربًا محبوبًا من الله تعالى.

٢) وفي مجال الترغيب في السعي لنيل رحمة الله تعالى وعدم القنوط مهما كانت الذنوب تتحفنا خطيبة النساء بهذا السماع من رسول الله ﷺ. عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد، قالت: سمعت النبي ﷺ يقرأ: ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ (وَلَا يُبَالِي) ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [سورة الزمر][(١)]. وعندما يسمع المسلم المسرف على نفسه بارتكاب الذنوب الكبيرة، والمعاصي العظيمة هذا النداء المبشر من رب العالمين سبحانه وتعالى بنقل مباشر من رسول الله ﷺ، فإن القنوط الذي تزرعه الشياطين في نفسه يتبدد، ويحل محله الحب لله والطاعة والتوبة، فيصلح حاله، ويستقيم أمره، وهذا من أعظم مقاصد القرآن الكريم، ومن أعظم البشارات التي ينبغي للمهتم بالقرآن وأهدافه النبيلة نشرها كما فعلت خطيبة النساء هنا.

٣) من أعظم منن الله تعالى على عباده نعمة الأمن في الأنفس والأهل والممتلكات، وتيسير الرزق في الأوطان بدون التعرض للغربة والمخاطر، وتمكين الناس من القوة على جلب الأرزاق من أماكن محددة معلومة للتجار والمتسببين، على نحو ما امتن الله به على قريش في هذا النص الذي ترويه لنا أسماء خطيبة النساء: عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد، عن النبي ﷺ قال: «﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل: الملحق المستدرك من مسند الأنصار: من حديث أسماء بنت يزيد: ٤٥/ ٥٤٩، الحديث: (٢٧٥٦٩).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

﴿إِلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢﴾[سورة قريش] ويحكم يا قريش، اعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمكم من جوع، وآمنكم من خوف»(١). فعبارة: ويحكم من النبي ﷺ تدل على منتهى الشفقة على الناس الذين يمتن الله عليهم بهذه المنن العظيمة عبر التاريخ، ولو كانت خرجت على وجه الخطاب لقريش، فهي للعموم وفي كل زمن لذا فنقل خطيبة النساء لهذا العلم داخل في إطار الاهتمام بصيانة المجتمع من الوقوع في الجحود لنعم الله تعالى والتنكر لشكره جل جلاله.

٤) اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى، يبحث العلماء كثيرًا عن مواطنه في القرآن والسنة وما يشهد له من نصوص، ولهذه الأهمية كانت النفوس متشوقة ومتشوفة لمن يحدث عن النبي ﷺ بحديث ينص عن وجوده في آية كذا أو حديث كذا، وهذه خطيبة النساء تروي لنا فيه هذا الحديث.

عن أسماء بنت يزيد، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في هذه الآيتين: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥] و: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢﴾ [سورة آل عمران]: «إن فيهما اسم الله الأعظم»(٢).

المبحث الثامن عشر: موقف خطيبة النساء من فتن آخر الزمانز

من مهام المثقف بصفة عامة الإسهام في مجريات الأمور وخصوصًا ما يتأثر الناس به في عقائدهم، وما يدخل عليهم الخوف والفزع، أو ما يخل بالأمن

(١) نفس المصدر السابق: ٤٥/ ٥٨١، الحديث: (٢٧٦٠٧).

(٢) نفس المصدر السابق: ٤٥/ ٥٨٤، الحديث: (٢٧٦١١).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

والاستقرار، أو يدخل في باب الفتن، والحوادث المهمة التي يؤرخ بها، لقوة أثرها في حياة الناس وتغير مجاري التاريخ، وتقلبات الزمان والدهور التي لا بد منها، ومما يعينه على ذلك الحضور الفعال في الحياة العلمية والعملية حتى يتمكن من تحصيل المعلومات من مصدرها الصحيح، ليصل إلى الدرجة التي تجعل الناس يثقون في فيما يصدر منه، ويطمئنون إلى علمه أو أخباره، وهذا ما قامت به خطيبة النساء أسماء بنت يزيد حيث كانت شديدة الصلة بمصدر الوحي المعصوم المخول بالتحدث عن المغيبات الماضية والمستقبلية، وإخبار الناس بما يجب عليهم عند وقوع الفتن والقلاقل، حتى يستعدوا لها، ويتصرفون عند حلولها بعلم وروية، ويتجنبون مواطن الفتن والشرور، ومن جهودها في ذلك كخطيبة وممثلة للنساء أنها حضرت مجالس النبي ﷺ التي تحدث فيها عن فتن آخر الزمان، وتقلبات الدهر بأهله، وظهور الكذابين والدجاجلة، وتغير أحوال الناس بترأس الأسافل على الكابر، وأنه لا تقوم الساعة حتى يخسف بقبائل من العرب، وحتى يسود كل قبيلة منافقوها، أو أراذلها، وحتى يتكلم الرويبضة وهو الرجل التافه في أمور العامة، وأن تتابع على الناس سنون خداعة، وتمسك السماء قطرها سنين متتابعة، حتى يلحق بالناس من البؤس والمجاعات لتتابع الجفاف عليهم ما يحوجهم للخضوع لكل دعي كذاب. عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد، قالت: كنا مع النبي ﷺ في بيته فقال: «إذا كان قبل خروج الدجال بثلاث سنين، حبست السماء ثلث قطرها، وحبست الأرض ثلث نباتها، فإذا كانت السنة الثانية حبست السماء ثلثي قطرها، وحبست الأرض ثلثي نباتها، فإذا كانت السنة الثالثة حبست السماء قطرها كله، وحبست الأرض نباتها كله، فلا يبقى ذو خف، ولا ظلف إلا هلك، فيقول الدجال للرجل من أهل البادية:

أرأيت إن بعثت إبلك ضخامًا ضروعها، عظامًا أسنمتها، أتعلم أني ربك؟ فيقول: نعم. فتمثل له الشياطين على صورة فيتبعه، ويقول للرجل: أرأيت إن بعثت أباك وابنك ومن تعرف من أهلك، أتعلم أني ربك؟ فيقول: نعم. فتمثل له الشياطين على صورهم فيتبعه»، ثم خرج رسول الله ﷺ وبكى أهل البيت، ثم رجع رسول الله ﷺ، ونحن نبكي فقال: «ما يبكيكم؟» فقلت: يا رسول الله ما ذكرت من الدجال فوالله إن أمة أهلي لتعجن عجينها فما تبلغ حتى تكاد تتفتت من الجوع فكيف نصنع يومئذ؟ فقال رسول الله ﷺ: «يكفي المؤمنين من الطعام، والشراب يومئذ التكبير، والتسبيح، والتحميد» ثم قال: «لا تبكوا فإن يخرج الدجال، وأنا فيكم فأنا حجيجه، وإن يخرج بعدي فالله خليفتي على كل مسلم»(١).

ومن أعظم الفتن التي تنتظر الناس فتنة الدجال لما يصاحب ظهوره من دواعي الافتتان به، وأن ذلك يؤكد شدة حاجة الناس لبيان حاله في الكذب واضمحلال أمره، إذ أعلام النبوة المخبرة عن أشراط الساعة الصغرى والكبرى تتحقق شيئًا فشيئًا، ويتناقل الناس جيلًا عن جيل ما أخبر به النبي ﷺ بخصوص التحرز من أسباب الفتن والابتعاد عن مظانها والصبر على الإيمان والتمسك بالدين عند وقوعها، وواجب المؤمن ليسلم له دينه وحياته عند وقوعها، وتبليغ الناس أحاديث الفتن من أعظم ما وصى به النبي ﷺ شفقة على أمته التي هي آخر الأمم، لذا كما في حديث شهر: عن أسماء بنت يزيد، أن رسول الله ﷺ: جلس مجلسا مرة يحدثهم عن أعور الدجال فذكر نحوه، وزاد فيه، فقال: «مهيم» وكانت كلمة من رسول الله ﷺ إذا سأل عن شيء يقول:

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل: الملحق المستدرك من مسند الأنصار: من حديث أسماء بنت يزيد: ٤٥/ ٥٤٧-٥٤٨، الحديث: (٢٧٥٦٨).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

مهيم وزاد فيه: «فمن حضر مجلسي، وسمع قولي فليبلغ الشاهد منكم الغائب، واعلموا أن الله عز وجل صحيح ليس بأعور، وأن الدجال أعور ممسوح العين بين عينيه مكتوب كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب» (١).

وبهذا الحديث عن الفتن في آخر الزمان تكون خطيبة النساء قد أسهمت في البلاغ عن الأمور التي تخل بالأمن والاستقرار في المجتمع، وتكون أيضًا بذلك بصرت كل مثقف ونائب عن المجتمع في الحياة العامة أن يحرص على ما ينفع الناس، وما يجلب لهم الطمأنينة، ويجنبهم أسباب الفزع، والوقوع ضحية الدجالة الكذابين الذين يسبقون الدجال الأعور كما جاء في الحديث الذي خطب به النبي ﷺ وقال فيه: «... وإنه والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابًا آخرهم الأعور الدجال، ممسوح العين اليسرى كأنها...» الحديث (٢).

وقد كثرت الفتن وأسبابها في هذا العصر بسبب تطور وسائل التواصل الاجتماعي وغيرها وبسبب ثورة التقنيات التي تقرب المسافات وتسهل على الإعلام التفنن في تصوير الحقائق العلمية، وكذا إتقان توثيق الكذب والافتراء والتمثيل الخادع، والدبلجة المفبركة، وكل ذلك يلقي مسؤولية زائدة على الذي يمثل الناس ويعنيه شأنهم العام من المثقفين والبرلمانيين، والإعلاميين الملتزمين بالدين الإسلامي وما يوجبه من الحرص على تحري الأخبار الصادقة وتجنب نشر الكذب والإشاعات أو الترويج للفتن والخزعبلات التي تشوش على الناس تصوراتهم ومفاهيمهم عن الحياة، أو تؤثر عليهم في معايشهم وأمنهم، وسلمهم الاجتماعي والاقتصادي.

(١) المصدر السابق: ٤٥/ ٥٦٢، الحديث: (٢٧٥٨٠). وانظر: فتح الباري، مصدر سابق: ١٣/ ٧٧- ٩٤.
(٢) المعجم الكبير للطبراني، باب السين: ٧/ ١٩١، الحديث: (٦٧٩٩).

الخاتمة:

تناول هذا البحث من خلال تمهيد ومباحث عديدة، مكانة المرأة العربية في الجاهلية وصدر الإسلام، متخذًا من خطيبة النساء أسماء بنت يزيد بن السكن رضي الله عنها، نموذجا يعتبر به مكانة المرأة المدنية قبل مبعث النبي ﷺ، وما تجدد لها من مكانة مرموقة، بعد الدخول في الإسلام، وتأسيس دولته العادلة، وما أقر لها من اعتبار عظيم في القرآن الكريم والسنة النبوية، حيث وجدنا أن خطيبة النساء قامت بتمثيل النساء في ميادين عديدة، شملت العقيدة والتعليم، والعلاقات العامة للمجتمع المدني، وفي إطار الأسرة، وعلاقة المرأة بالدولة والسلطان، وواجباتها، وحقوقها.

وكان الاعتماد في ذلك على نصوص من القرآن والسنة، ووقائع مشهورة عند العلماء، ونوصي في هذا الإطار بتوجيه الباحثين إلى مجالات البحوث العلمية، لتناول الشخصيات المؤثرة في حياة المجتمع الإسلامي في الصدر الأول؛ لأن الناس يقتدون بهم، ويتمثلون سيرهم الحسنة، قبل ظهور الخلافات التي أحدثت في المجتمعات المسلمة شيئًا من الغموض، واللبس، الذي يشوش على الباحث عن الحق في طريق الوصول إليه، بينما في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين والقرون المفضلة التي يكثر فيها الخير ويقل الشر هي مجال واسع للبحث العلمي الذي يثري الساحة العلمية والثقافية.

فهرس المصادر والمراجع

مرتبا على حروف المعجم

١. أحكام المساجد في الإسلام، تأليف: د/ محمود بن حسين حريري، دار الرفاعي ط١، ١٤١١هـ.

٢. الأدب المفرد، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط٣، دار البشائر الإسلامية – بيروت، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٣. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن أبى بكر القسطلاني، ط٧، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر١٣٢٣هـ.

٤. الاستبصار في نسب الأنصار، موفق الدين بن قدامة المقدسي، تحقيق: علي نويهض، دار الفكر، ط،١٣٩٢هـ.

٥. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي المحقق: علي محمد البجاوي دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م.

٦. أسد الغابة: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم: تحقيق: علي معوض و: عادل عبد الموجود، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

٧. الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي تحقيق: د. عز الدين علي السيد، ط٣، مكتبة الخانجي– القاهرة / مصر.

٨. الإصابة في تمييز الصحابة، الحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

٩. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين ط١٥ – أيار/ مايو ٢٠٠٢ م.

١٠. الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ، والثلاثة الخلفاء، تأليف أبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الندلسي، تحقيق د. محمد كمال الدين عز الدين علي، عالم الكتب، ط١، ١٤١٧هـ

١١. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، سنة النشر: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

١٢. بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها، عبد الله بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي، أبو محمد، دار الجيل، ط٣، ١٩٨٤م، بيروت لبنان.

١٣. تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، ط: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥م.

١٤. تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، علي بن محمد بن أحمد بن موسى بن مسعود، الخزاعي، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ.

١٥. التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية في المدينة المنورة العلمية، محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير الكتاني، تحقيق: عبد الله الخالدي، ط٢، دار الأرقم – بيروت.

١٦. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

١٧. التفسير الكبير للرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١.

١٨. تهذيب الأسماء واللغات للنووي، دار الفكر، ط١، ١٤١٦هـ.

١٩. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٠٠ – ١٩٨٠م.

٢٠. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

٢١. حديث أبي ذر وما فيه من الدروس والعبر، محمد بن أحمد الشنقيطي، دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م.

٢٢. حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة، تأليف محمد صديق حسن خان القنوجي البخاري، تحقيق وتعليق، الدكتور مصطفى سعيد الخن، وحي الدين مستو، ط٨، مؤسسة الرسالة، ١٤١٦هـ.

٢٣. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: أبو بكر البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٠٥هـ.

٢٤. رحمة للعالمين، سيرة النبي الأمي ﷺ، محمد سليمان سلمان المنصورفوري، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض.

٢٥. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد: محمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض: ط١، دار الكتب العلمية-بيروت، ١٤١٤هـ.

٢٦. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

٢٧. سنن الترمذي محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق وتعليق، أحمد محمد شاكر، مصطفى البابي الحلبي، مصر ط٢، ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥م.

٢٨. سنن الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي- بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

٢٩. سيد الدعاة، تأليف حسن محمد يوسف، دار الإنسان، ط١ ١٣٩٩هـ.

٣٠. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٣١. السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة (قراءة جديدة)، أبو عمر، محمد بن حمد الصوياني، ط١، مكتبة العبيكان، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

٣٢. سنن ابن ماجة: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

٣٣. سنن النسائي: أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي: تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٣٤. رياض الصالحين، أبو زكريا محي الدين بن شرف النووي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط: ط٣، مؤسسة الرسالة- بيروت، ١٤١٩هـ.

٣٥. شرح محمد بن عبد الرحمن الفليسي البسكري المغربي على متن الإمام الأخضري، تحقيق وتعليق العبد الفقير، ط١، دار الذخائر بالدمام،١٤٢١هـ.

٣٦. شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، ط١، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند. ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

٣٧. صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

٣٨. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٩. صفة ثوب رسول الله ﷺ، عبد الله بن وادة، تحقيق: محمد الداه أحمد، ط١، ١٤١٤هـ، الإمارات.

٤٠. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع، البغدادي، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ط١، ١٩٦٨م.

٤١. عمدة القاري شرح صحيح البخاري: أبو محمد محمود بن أحمد بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٤٢. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الحافظ ابن حجر العسقلاني، دار السلفية.

٤٣. كتاب المرأة المتبرجة وأثرها السيء على الأمة، تأليف: د/ عبد الله التليدي، دار ابن حزم ط٢ ١٤١١هـ

٤٤. كشف اللثام شرح عمدة الأحكام، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، تحقيق نور الدين طالب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – الكويت، دار النوادر – سوريا، ط١، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧م.

٤٥. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي، بكري حياني – صفوة السقا، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٤٦. كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، محمد الخضر بن سيد عبد الله بن أحمد الجكني الشنقيطي مؤسسة الرسالة، بيروت ط١، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥م.

٤٧. مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١م.

٤٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، وإشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

٤٩. المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله الحسيني، دار الحرمين – القاهرة.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

٥٠. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الرياض ط١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م).

٥١. معرفة الصحابة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني تحقيق، عادل بن يوسف العزازي ط ١، دار الوطن، الرياض١٤١٩ هـ، ١٩٩٨م.

٥٢. المغازي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٥٣. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: محيي الدين يحيى بن شرف النووي: ط٢، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٣٩٢هـ.

٥٤. منهج الدعوة في البناء الاجتماعي على ضوء ما جاء في سورة الحجرات تأليف الدكتور/ محمد بن محمد الأمين الأنصاري مكتبة الأنصار الرياض ط١ ١٤٠٤هـ.

٥٥. موطأ مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني: صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، ط١، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م.

٥٦. نشأة الدولة الإسلامية على عهد رسول الله ﷺ، الدكتور: عون الشريف قاسم، دار الكتب الإسلامية، ط٢، ١٤٠١هـ.

٥٧. الواعظ الحثيث بالآية والحديث، د/ محمد الأمسمي، دار الوطن، ط١، ١٤٢٠هـ.